استدراكات الدكتور غزلان في كتابه (البيان) على الإمام السيوطي (عرضٌ ودراسةٌ)

إعداد

دكتور/ ياسر أحمد مرسي محمد سطوحي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

كلية أصول الدين بالقاهرة.

استدراكات الدكتور غزلان في كتابه (البيان) على الإمام السيوطي (عرضٌ ودراسةٌ)

ياسر أحمد مرسي محمد سطوحي.
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية أصول الدين بالقاهرة.
البريد الإلكتروني : yasserahmedstohy358@gmail.com

الملخص:

يُعدُّ كتاب (البيان في مباحث من علوم القرآن) للدكتور غزلان مصدرًا من أنفس المصادر العلمية في علوم القرآن في العصر الحديث، وقد كانت لشيخنا غزلان استدراكات على العلماء الذين نقل عنهم وأخذ منهم لأجل تقويم آرائهم وإصلاحها، وبيان صوابها من خطئها، وكان من بين هؤلاء العلماء الإمام السيوطي في إتقانه حيث اعترض عليه في بعض آرائه. وجاءت هذه الدراسة لتلقي الضوء على تلك الاستدراكات لمناقشتها ومقارنتها بأقوال أهل العلم، والتنبيه على الرأي الرَّاجح المُؤيَّد بالأدلة، وإبداء الرأي – بما يسر الله – فيما انتهى إليه الشيخ غزلان، هل وُفِّق في نقده واستدراكه على الإمام السيوطي أو أنَّه قد جانبه الصواب؟

وقد تكوَّن البحث من مقدمةٍ، وفصلين، وخاتمة. **أمَّا الفصل الأول**، فاشتمل على التعريف بالدكتور غزلان، وكتابه (البيان)، ومنهجه النقدي، وفيه ثلاثة مباحث: المبحث الأول: التعريف بالدكتور غزلان. المبحث الثاني: التعريف بكتاب (البيان في مباحث من علوم القرآن). المبحث الثالث: المنهج النقدي عند الدكتور غزلان في كتابه البيان. **وأمَّا الفصل الثاني**، فتضمَّن: استدراكات الدكتور غزلان على السيوطي رحمهما الله، وفيه سبعة مباحث: المبحث الأول: نقد الشيخ غزلان حكاية السيوطي الأقوال الثلاثة في مسألة نزول القرآن بلفظه ومعناه دون العناية بالرَّدِّ على الباطل منها. المبحث

الثاني: نقد الشيخ غزلان أدلة السيوطي القاضية بنزول الكتب السماوية السابقة جملةً واحدةً. المبحث الثالث: استدراك الشيخ غزلان على نقد السيوطي القول بأنَّ البسملة أول ما نزل من القرآن على الإطلاق. المبحث الرابع: نقد الدكتور غزلان فهم السيوطي جواب ابن عباس رضي الله عنهما سؤال مروان بن الحكم عن قوله تعالى: ﴿**لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [آل عمران: ١٨٨] أنَّه من العام الذي أُريد به الخصوص. المبحث الخامس: نقد الشيخ غزلان قصر السيوطي قوله تعالى: ﴿**وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى**﴾ [الليل: ١٧] على أبي بكر الصديق رضي الله عنه دون غيره. المبحث السادس: نقد الشيخ غزلان قول السيوطي باشتمال العرضة الأخيرة على نسخ بعض القرآن. المبحث السابع: نقد الشيخ غزلان ما حكاه السيوطي عن بعض العلماء في تعريف الآية القرآنية. وخاتمةٍ: فيها أهم ما توصل إليه هذا البحث من نتائج، وبعض المقترحات، وأهم المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

واتبعتُ فيه عدة مناهج، هي: (المنهج الاستقرائي – والوصفي – والتحليلي – والنقدي – والمقارن).

وانتهيتُ إلى: أنَّ الشيخ غزلان قد أصَّل منهجًا علميًّا رصينًا في التعامل مع أقوال العلماء – لا سيما في مسائل علوم القرآن– وفق ضوابط علمية مطردة، وقواعد أُصولية معتبرة، وقد وُفِّق رحمه الله غاية التوفيق، وأجاد وأصاب في جُلِّ استدراكاته على السيوطي، وجانبه الصواب في بعضها.

الكلمات المفتاحية: استدراكات، غزلان، البيان، السيوطي.

Dr. Ghozlan's reflections in his book (Al-Bayan) on Imam Al-Suyuti (presentation and study)

Yasser Ahmed Morsi Mohamed Sattouhi .
Assistant Professor of Interpretation and Quranic Sciences at the Faculty of Fundamentals of Religion in Cairo.
Email: yasserahmedstohy358@gmail.com

Abstract :
The book (statement in the investigations of the sciences of the Qur'an) by Dr. Ghozlan is a source of the most precious scientific sources in the sciences of the Qur'an in the modern era, and our Sheikh Ghozlan had reflections on the scientists who quoted them and took them in order to evaluate their opinions and reform, and to indicate their correctness from their error, and among these scholars was Imam Al-Suyuti in mastery where he objected to it in some of his opinions. This study came to shed light on those reflections to discuss and compare them with the sayings of the scholars, and to warn on the most correct opinion supported by evidence, and to express an opinion - as pleased God - in what Sheikh Ghozlan concluded, did he succeed in his criticism and correction on Imam Al-Suyuti or that he has the right side?

The research may consist of an introduction, two chapters, and a conclusion. The first chapter included the definition of Dr. Ghozlan, his book (Al-Bayan), and his critical approach, and it contains three sections: The first topic: the definition of Dr. Ghozlan. The second topic: the definition of the book (the statement in the investigations of the sciences of the Qur'an). The third topic: the critical approach of Dr. Ghozlan in his book Al-Bayan. The second chapter, included: Reflections of Dr. Ghozlan on Al-Suyuti, may God have mercy on them, and it has seven sections: The first topic: Sheikh Ghozlan's criticism of the story of Al-Suyuti The three sayings on the issue of the revelation of the Qur'an with its word and meaning without caring to respond to the falsehood of them. The

second topic: criticism of Sheikh Ghozlan evidence Suyuti judge the descent of the previous heavenly books one sentence. The third topic: Sheikh Ghozlan on the criticism of Al-Suyuti saying that the basmala is the first thing that was revealed from the Qur'an at all.
The fourth topic: criticism of Dr. Ghozlan understanding of Al-Suyuti Ibn Abbas - may God be pleased with them - the question of Marwan bin Al-Hakam about the Almighty's saying: ﴿Do not count those who rejoice in what they have come and love to praise what they did not do, do not count them with a reward of torment and they have a painful torment ﴾[Al-Imran: 188] that it is the year in which I want to special. The fifth topic: criticism of Sheikh Ghozlan Palace Al-Suyuti saying: ﴿And will avoid the pious ﴾[Night: 17] on Abu Bakr Siddiq may God be pleased with him and no other. The sixth topic: criticism of Sheikh Ghozlan saying Suyuti including the last Arda to copy some of the Qur'an. The seventh topic: Sheikh Ghozlan's criticism of what Al-Suyuti narrated about some scholars in the definition of the Qur'anic verse. And conclusion: the most important findings of this research of the results, some proposals, the most important sources and references, and the index of topics.
Several approaches were followed: (inductive - descriptive - analytical - critical - and comparative approach).
I concluded: that Sheikh Ghozlan has the origin of a sober scientific approach in dealing with the sayings of scientists - especially in matters of the sciences of the Qur'an - according to steady scientific controls, and rules of fundamentalism considerable, has reconciled God's mercy very successful, and shred and right in most of his reflections on Al-Suyuti, and his right side in some of them.
Keywords: Reflections, Ghozlan, Al-Bayan, Al-Suyuti Criticism, Analysis.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف الأنبياء وخاتم المرسلين سيدنا محمدٍ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. وبعد؛

فإنَّ علوم القرآن الكريم من أشرف العلوم وأفضلها؛ إذ موضوعها كتاب الله الخالد ودستوره التالد، وغايتها فهم كلام الله والعمل به، كما أنَّ حاجة الناس جميعًا إلى القرآن شديدة، وتمسكهم به لنيل السعادة في الدارين أكيدة؛ لذا وجَّه العلماء من لدن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم إلى يوم الناس هذا إلى تلك العلوم المتعلقة بكتاب ربهم أنظارهم، وجعلوها محطَّ اهتمامهم، وأدلوا في سبيل تأصيلها وتقعيدها وبيانها بدلوهم، باذلين في سبيل خدمة القرآن، وتيسير علومه للناس الغَاليَ والنَّفيسَ، وأخبارهم في ذلك مشهورة، وأعمالهم – إن شاء الله – مقبولة.

ومن هؤلاء العلماء الأعلام أئمة الإسلام الذين سخروا أقلامهم واستثمروا أوقاتهم في خدمة كتاب ربهم ببيان العلوم المتعلقة به والمعينة على فهمه: علم كلية أصول الدين بالقاهرة الفذّ، وكوكبها الساطع ونجمها اللامع في سماء الأزهر الشريف الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عبد المجيد غزلان طيَّب الله ثراه صاحب كتاب **(البيان في مباحث من علوم القرآن)**، والذي يُعدُّ مصدرًا من أنفس المصادر العلمية في علوم القرآن في العصر الحديث، ومرجعًا من أجلِّ المراجع التي يستقي منها المؤلفون والمصنفون في هذا العلم الجليل؛ وذلك لما اشتمل عليه من تحقيقٍ وتحريرٍ، وبيانٍ وتفصيلٍ، ونقدٍ وتمحيصٍ، واختيارٍ وترجيحٍ، وتصويبٍ وتضعيفٍ للأقوال التي نقلها،

والمصادر التي استقى منها، فلم يكن مؤلفه مجرد ناقلٍ فقط، بل حرَّر وحقَّق، ونقد ودقَّق.

وقد لفتَ نظري وجذب انتباهي أثناء مطالعتي ودراستي وتدريسي لهذا السِّفر القيِّم: استدراكات شيخنا غزلان على العلماء الذين نقل عنهم وأخذ منهم من السابقين واللاحقين، وتعقباته لآرائهم في علوم القرآن لأجل تقويمها وإصلاحها، والتنبيه على مواطن خللها وزللها، وبيان صوابها من خطئها، وكان من بين هؤلاء العلماء الذين اعتمد عليهم شيخنا غزلان في كتابه البيان فأفاد، واستدرك عليهم في بعض المسائل فأجاد: الإمام السيوطي في إتقانه حيث اعترض عليه في بعض آرائه، وظهر له ما لم يظهر له؛ فأتمَّ عمله، وأكمل سعيه، واستدرك ما فاته، وسجَّل ذلك في صفحات كتابه.

ولمَّا كانت تلك الاستدراكات وهذه النقدات لآراء هذا الجبل الشامخ ذاتَ قيمةٍ علميةٍ بالغةٍ، قمتُ- في هذا البحث- بجمعها ودراستها ومناقشتها ومقارنتها بأقوال أهل العلم؛ لبيان الرأي الرَّاجح المُؤيَّد بالأدلة، والتنبيه على المنهج الأمثل الذي كان ينبغي أن يُتبع في كلِّ مسألة، وإبداء الرأي – بما يسر الله لي- فيما انتهى إليه الشيخ غزلان، هل وُفِّق في نقده واستدراكه عليه أو أنَّه قد جانبه الصواب؟ وأسميتُ بحثي هذا **(استدراكات الدكتور غزلان في كتابه البيان على الإمام السيوطي عرضٌ ودراسةٌ)** مع يقيني بأنَّ أمثال هذه الدراسات النقدية فيها من حفظ العلم وصيانته، والحرص على نقله عسلًا مصفى، وشهدًا مُحلى، ولبنًا صريحًا، وسبحان الحكيم العليم الذي جعل من بركة العلماء الانتفاع بصوابهم وخطئهم على حدٍّ سواء، فجزى الله علماءنا وشيوخنا عن العلم وطلابه خير الجزاء، وأجزل لهم الأجر والمثوبة يوم

اللقاء، وحشرنا معهم في زمرة حبيبنا وسيدنا محمدٍ خاتم الأنبياء وسيد الحنفاء صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين.

أسباب اختياري هذا الموضوع:

وقد وقع اختياري على هذا الموضوع للأسباب الآتية:

(١) القيمة العلمية لكتاب (البيان في مباحث من علوم القرآن) حيث يُعدُّ من أهمِّ المؤلفات التي أُلفت في علوم القرآن، وأجودها في العصر الحديث؛ لاشتماله على تحريرات وتحقيقات حول مسائل من علوم القرآن مع سهولة عبارته، وسلاسة أسلوبه.

(٢) إلقاء الضوء على علَم فذّ من أعلام أزهرنا الشريف، وجهبذ من جهابذة كلية أصول الدين بالقاهرة، حتى ينال حقه من العناية بمؤلفاته، والتكريم لاسمه.

(٣) الإفادة من آراء شيخنا غزلان وترجيحاته واختياراته في علوم القرآن، والوقوف على منهجه العلمي الرصين في تحرير المسائل ومناقشتها، ممَّا يكون له عظيم الأثر في إثراء شخصية الباحث العلمية.

(٤) التأكيد على الأهمية البالغة للدراسات النقدية لكتب أئمتنا وعلمائنا؛ وذلك لما تشتمل عليه من نقدٍ وتنقيحٍ، وتمحيصٍ وتصحيح لبيان وجه الصواب، ورفع التوهم، والوقوف على الراجح من أقوال أهل العلم بعد مقابلتها ومقارنتها ومناقشتها، وفي ذلك حفظٌ للعلم، وصيانةٌ له، وحرصٌ على نقله على أكمل الوجوه وأصوبها.

(٥) بيان معالم المنهج النقدي في علوم القرآن الكريم من خلال رؤيةٍ منهجيَّة لاستدراكات الدكتور غزلان لآراء الإمام السيوطي رحمهما الله، وفي

ذلك – إن شاء الله تعالى– كشفٌ لذخائر تراثنا الإسلامي الزاهر، وتقديرٌ لجهود علمائنا الأفاضل، ووفاء ببعض حقهم علينا.

إشكالية البحث وحدوده وأهدافه:

سيقتصر هذا البحث على جمع المواضع التي صرَّح فيها الدكتور غزلان في كتابه (البيان) باستدراكه على السيوطي عليهما الرحمة، وعرضها، ودراستها، ومناقشتها، والوقوف على منهجه النقدي في الاستدراك والاستدلال، والوصول إلى أصحِّ الأقوال في المسألة مشفوعةً بأدلتها، ثم إبداء الرأي ممَّا تيسَّر لي فيما انتهى إليه، هل وُفِّق الشيخ غزلان في نقده لآراء السيوطي واستدراكه عليه، أو أنَّه قد جانبه الصواب؟

الدراسات السابقة:

لم أقف – في حدود اطلاعي – بعد بحثٍ وتتبعٍ على أحدٍ أفرد استدراكات شيخنا غزلان رحمه الله على أقوال أحدٍ من العلماء – لا سيما السيوطي– في علوم القرآن بالدراسة والبحث، غاية ما وجدتُه إعجاب بعض الكاتبين في علوم القرآن بمنهج الدكتور غزلان الرصين وترجيحاته الدقيقة ونقداته المتينة ممَّا جعله ينقل بعض تحقيقاته وعباراته بحروفها مهما طالت، وهؤلاء الكاتبون هم:

١ – الأستاذ الدكتور/ فضل حسن عباس رحمه الله حيث تأثر به ومدحه في مقدمة كتابه (إتقان البرهان في علوم القرآن) بالدقة والإحكام فيما عرض له من المسائل، وأفاد منه ونقل عنه مردِّدًا كلامه بنصه في استدراكه على السيوطي قوله إنَّ قول الله تعالى: ﴿**وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى**﴾ [الليل: ١٧] خاصٌ بالصديق رضي الله عنه دون غيره، وفي استدراكه على الزركشي والسيوطي

فهم جواب ابن عباس رضي الله عنهما سؤال مروان بن الحكم عن قوله تعالى: ﴿**لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [آل عمران: ١٨٨] [(١)].

٢ – وشيخنا العلامة الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عبد الرحمن خليفة رحمه الله الذي نقل كلام شيخه غزلان كلَّه، مُعقِّبًا عليه بأنَّه بلغ الغاية في النفاسة وإصابة كبد الحقيقة، وذلك في استدراكه على الزركشي والسيوطي عدم بيان مذهب الحقِّ وإبطال غيره في قضية نزول القرآن باللفظ والمعنى، وكذلك في استدراكه على السيوطي قوله بنزول الكتب السماوية السابقة جملةً واحدةً في سفره القيِّم (منة المنان في علوم القرآن) [(٢)].

٣ – شيخنا الأستاذ الدكتور/ محمد سالم أبو عاصي حفظه الله الذي نقل – أيضًا– كلام الدكتور غزلان بنصه في استدراكه على السيوطي تخصيصه الأتقى بالصديق رضي الله عنه دون غيره، وفي استدراكه على الزركشي والسيوطي فهم جواب ابن عباس رضي الله عنهما سؤال مروان بن الحكم، وذلك في كتابه (أسباب النزول)[(٣)]، أمَّا في كتابه (فهم جذور البيان) فلم يتعرَّض بالتعليق فضلًا عن الدراسة لشيءٍ من استدراكات الدكتور غزلان على العلماء.

---

(١) يُنظر: إتقان البرهان ص ١٢، ١٣، ٢٦٩، ٣٥١ – ٣٥٣.

(٢) يُنظر: منة المنان ١٣٧/٢– ١٤٢، ٢٨١/٢، أمَّا في كتابه (الإحسان في علوم القرآن) فأفاد منه في الاستدراك على الزركشي والسيوطي في قضية نزول القرآن باللفظ والمعنى فقط. يُنظر: الإحسان ص ٨٧ – ٩٣.

(٣) يُنظر: أسباب النزول شبهات ... وردود ص ١١٤، ١٥٣.

ملامح المنهج الذي اتبعتُه في البحث:

اتبعتُ في هذا البحث عدة مناهج، هي: (المنهج الاستقرائي- والوصفي- والتحليلي- والنقدي- والمقارن) [1]، وذلك لإبراز أصل المسألة في كلِّ موضعٍ أتى به هذا البحث، ثم دراستها بما يجلي للقارئ الكريم السبب الذي لأجله استدرك الشيخ غزلان على السيوطي فيها، ثم مناقشتها ومقارنتها بأقوال المحققين من العلماء، ثم إبداء القول الرَّاجح والمرتضى في كلِّ مسألةٍ، وذلك من خلال الإجراءات التالية:

---

(١) المنهج الاستقرائي: هو عملية انتقال الفكر من الحكم على الجزئي إلى الحكم على الكلي الذي يدخل الجزئي تحته. يُنظر: دليل المبتدئ إلى المناهج العامة في البحث العلمي للدكتورة أسماء عبد المطلب بني يونس ص ١٤٢.

والمنهج الوصفي: هو أسلوب البحث الذي يُعنى بدراسة الظاهرة أو الحدث كما هو في الواقع، ويهتم بوصفها وصفًا دقيقًا. يُنظر: السابق ص ١٦١. والمنهج التحليلي: هو منهجٌ يقوم على دراسة الإشكالات العلمية المختلفة، ويُعنى بدراسة مفردات البحث بأسلوب علمي واضح بهدف الوصول إلى الحقائق. يُنظر: أبجديات البحث العلمي في العلوم الشرعية للدكتور فريد الأنصاري ص ٩٦. والمنهج النقدي: هو عبارةٌ عن اتباع الباحث الناقد مجموعةً من الأدوات والإجراءات أثناء قراءة النص وتفسيره وتحليله. يُنظر: النقد الأدبي الحديث للدكتور محمد غنيمي هلال ص ٩. والمنهج المقارن: هو تمييز الباحث بين شيئين. يُنظر: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي للدكتور عبد الرحمن الزيندي ص ٣١.

١- استعرضتُ كتاب (البيان)، وسجَّلتُ استدراكات الدكتور غزلان فيه لآراء السيوطي على سبيل الاستقصاء والاستيعاب لا على سبيل الانتقاء والاختيار.

٢- صنَّفتُ تلك الاستدراكات حسب ورودها في كتاب البيان.

٣- وضعتُ عنوانًا لكلِّ استدراكٍ يبين محله.

٤- ذكرتُ رأي السيوطي في صدر كلِّ مسألة، وثنَّيتُ بذكر استدراك الدكتور غزلان.

٥- نبَّهتُ إلى دليل كلٍّ منهما فيما ذهب إليه – وإن لم يذكره أحدهما أو كلاهما- ثم ناقشته.

٦- حرَّرتُ محل النزاع في كلِّ مسألةٍ، ثم بيَّنتُ الراجح من الأقوال مؤيَّدًا بالأدلة.

٧- عزوتُ الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر اسم السورة ورقم الآية.

٨- خرَّجتُ الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين من كتب السنة المعتمدة مع الحكم عليها.

٩- عزوتُ الآراء إلى قائليها مع ذكر المصدر ورقم الجزء والصفحة.

١٠- بيَّنتُ معاني بعض الألفاظ الغامضة، وذلك بالرجوع إلى المعاجم المعتمدة، وكتب التعريفات، وذكرتُها في الهامش.

١١ – عرَّفتُ بالمصطلحات العلمية التي تحتاج إلى تعريفٍ في الهامش.

١٢ – لم أُترجم إلا للأعلام المغمورة فقط، أمَّا المشهورة فشهرتُها تغني عن تعريفها.

١٣ – لم أذكر ترجمةً للإمام السيوطي ولا تعريفًا بكتابه (الإتقان)؛ لشهرة ذلك بين طلاب العلم فضلًا عن شيوخه، ولكثرة الكاتبين فيه؛ فقد كُتبت في ترجمته عليه الرحمة والتعريف بكتابه مئات الرسائل العلمية؛ فرأيتُ أنَّ الكتابة في هذه الأمور ما هي إلا تحصيلُ حاصلٍ فضلًا عن أنَّه نقلٌ محضٌ لا جديد فيه.

خطة البحث:

وقد قسمتُ البحث إلى مقدمةٍ، وفصلين، وخاتمة.

أمَّا المقدمة ففيها بيان أسباب اختياري هذا الموضوع وأهدافه، وأهميته، والمنهج العلمي الذي سار عليه البحث، ورسم الخطة الفنية لهذا البحث.

وأمَّا الفصل الأول، فاشتمل على التعريف بالدكتور غزلان، وكتابه (البيان)، ومنهجه النقدي، وفيه ثلاثة مباحث: المبحث الأول: التعريف بالدكتور غزلان.

المبحث الثاني: التعريف بكتاب (البيان في مباحث من علوم القرآن).

المبحث الثالث: المنهج النقدي عند الدكتور غزلان في كتابه البيان.

وأمَّا الفصل الثاني، فتضمَّن: استدراكات الدكتور غزلان على السيوطي رحمهما الله،

وفيه سبعة مباحث مرتبة حسب ورودها في كتاب البيان، وهي:

المبحث الأول: نقد الشيخ غزلان حكاية السيوطي الأقوال الثلاثة في مسألة نزول القرآن بلفظه ومعناه دون العناية بالرَّدِّ على الباطل منها.

المبحث الثاني: نقد الشيخ غزلان أدلة السيوطي القاضية بنزول الكتب السماوية السابقة جملةً واحدةً.

المبحث الثالث: استدراك الشيخ غزلان على نقد السيوطي القول بأنَّ البسملة أول ما نزل من القرآن على الإطلاق.

المبحث الرابع: نقد الدكتور غزلان فهم السيوطي جواب ابن عباس رضي الله عنهما سؤال مروان بن الحكم عن قوله تعالى: ﴿**لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [آل عمران: ١٨٨] أنَّه من العام الذي أُريد به الخصوص.

المبحث الخامس: نقد الشيخ غزلان قصر السيوطي قوله تعالى: ﴿**وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى**﴾ [الليل: ١٧] على أبي بكر الصديق رضي الله عنه دون غيره

المبحث السادس: نقد الشيخ غزلان قول السيوطي باشتمال العرضة الأخيرة على نسخ بعض القرآن.

المبحث السابع: نقد الشيخ غزلان ما حكاه السيوطي عن بعض العلماء في تعريف الآية القرآنية.

وأمَّا الخاتمة ففيها أهم ما توصل إليه هذا البحث من نتائج، وبعض المقترحات، وأهم المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمدٍ وعلي آله وصحبه أجمعين،

والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

التعريف بالدكتور غزلان، وكتابه (البيان)، ومنهجه النقدي

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: التعريف بالدكتور غزلان [1].

لم أقف على ترجمةٍ – لا موجزةٍ ولا مطولةٍ– للدكتور عبد الوهاب غزلان رحمه الله، وبعد بحثٍ وتنقيبٍ وسؤالٍ لشيوخي وتلامذته من أساتذة كلية أصول الدين حرسها الله وقفتُ على بعض المعلومات في التعريف به، وقد سجلتُ ما وقفتُ عليه في السطور التالية.

اسمه: عبد الوهاب عبد المجيد السيد غزلان.

من محافظة البحيرة بجمهورية مصر العربية، كفيف البصر.

حياته العلمية:

حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وتلقى تعليمه في معاهد الأزهر الشريف، فالتحق بمعهد الإسكندرية، وأتمَّ فيه تعليمه الابتدائي سنة ١٩٢٧م، ثم التحق

---

(١) أفدتُ في هذه الترجمة من:

١ – تقويم جامعة الأزهر في أربع سنوات ص ٣٠٨.

٢ – كتاب كلية أصول الدين للشيخ محمد حسين النجار ص ٩٧.

٣ – حوار مع الأستاذ الدكتور/ أحمد السيد الكومي في مجلة الأزهر العدد الثالث لسنة ١٩٨٩م.

٤ – حوار دار بيني وبين شيخنا العلامة أ.د/ أحمد معبد عبد الكريم، وشيخنا الولي التقي أ.د/ محمود يوسف كريت حفظهما الله.

بالقسم الثانوي، وكانت الدراسة فيه أربع سنوات حصل في نهايتها على الثانوية الأزهرية سنة ١٩٣١م، ثم التحق بكلية أصول الدين بالقاهرة، وتخرج فيها سنة ١٩٣٥م، ثم التحق بالدراسات العليا شعبة التفسير والحديث، وحصل على درجة العالمية (الدكتوراه) سنة ١٩٤٢م عن رسالته (تفسير آيات العقوبات).

تدرجه الوظيفي:

عمل رحمه الله إبَّان تخرجه من كلية أصول الدين مدرسًا بالمعاهد الأزهرية إلى سنة ١٩٥٤م؛ فعمل بعدها مدرسًا بكلية أصول الدين بالقاهرة، ثم أستاذًا مساعدًا، ثم أستاذًا، ثم رئيسًا لقسم التفسير وعلوم القرآن إلى سنة ١٩٧٣م.

من شيوخه:

١ – الشيخ محمود أبو دقيقة المتوفى سنة ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٩م.

٢ – الشيخ محمد أبو زهرة المتوفى سنة ١٣٩٤هـ.

٣ – الشيخ أمين الخولي المتوفى سنة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م رحمهم الله جميعًا رحمةً واسعةً.

من زملائه:

١ – الأستاذ الدكتور/ محمد محمد السَّماحي المتوفى سنة ١٩٨٤م.

٢ – الأستاذ الدكتور/ أحمد السيد الكومي المتوفى سنة ١٩٩١م، عليهما الرحمة.

من تلامذته:

١ – الأستاذ الدكتور/ محمد عبد المنعم القيعي المتوفى سنة ١٤١١هـ/١٩٩٠م رحمه الله.

٢ – الأستاذ الدكتور/ عبد الغفور محمود مصطفى جعفر المتوفى سنة ٢٠٠٤م رحمه الله.

٣ – الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عبد الرحمن خليفة المتوفى سنة ٢٠١٣م رحمه الله، وقد تأثر بالدكتور غزلان، ونقل عنه في كتابيه (منة المنان في علوم القرآن)، و(الإحسان في علوم القرآن) واصفًا إياه بقوله: (شيخنا) في غير ما موضعٍ [١].

٤ – الأستاذ الدكتور/ نور الدين عتر المتوفى سنة ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م رحمه الله؛ حيث أثنى على كتاب (البيان) لافتًا أنظار طلاب العلم إلى أهميته ومكانته، عادًّا له في أهمِّ المؤلفات المعاصرة في علوم القرآن، واصفًا الشيخ غزلان بالعلَّامة، ومعترفًا بأُستاذيته له، وذلك في كتابه (علوم القرآن الكريم)[٢].

٥– فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد الطيب حفظه الله[٣].

---

(١) يُنظر: منة المنان ٢/ ١٦ –١٨، ٢/١٣٧– ١٤٢، ٢/٢٨١، والإحسان ص ٢٣، ٣٣، ٦٣، ٦٥، ٨٧ – ٩٣.

(٢) حيث وصف الشيخ غزلان بقوله: (أُستاذنا العلَّامة). يُنظر: علوم القرآن الكريم ص ٩.

(٣) ذكر ذلك شيخنا أ.د. محمد سالم أبو عاصي في مقدمة كتابه فهم جذور البيان ص٣.

٦ – الأستاذ الدكتور/ أحمد معبد الكريم حفظه الله ومتعه بالصحة والعافية، وقد أخبرني أنَّه قرأ عليه ثلثي كتاب (مقالات الكوثري) بمنزله الكائن بشبرا.

٧ – الأستاذ الدكتور/ محمود يوسف كريت حفظه الله ومتعه بالصحة والعافية، وقد أخبرني بأنَّ الشيخ غزلان قد درَّس لهم كتابه (البيان) في الفرقة الأولى بكلية أصول الدين بالقاهرة.

٧ – الدكتور/ حسن ضياء الدين عتر حيث ذكر أنَّ الدكتور غزلان قد أشرف على رسالته التي نال بها درجة العالمية (الدكتوراه) بمرتبة الشرف الأولى، الموسومة بـ (نبوة محمد ﷺ في القرآن) سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

مؤلفاته:

١ – البيان في مباحث من علوم القرآن، وهو محلُّ هذه الدراسة، وقد أفردتُ له المبحث الثاني من هذا الفصل. ٢ – تفسير آيات العقوبات، أُطروحته للعالمية (الدكتوراه) ولم أجد لها أثرًا.

رحمه الله رحمةً واسعةً، وجزاه عن العلم وطلابه خير الجزاء.

***

المبحث الثاني: التعريف بكتاب (البيان في مباحث من علوم القرآن)

اسم الكتاب، وسبب تسميته، والباعث على تأليفه:

سمَّى الدكتور عبد الوهاب غزلان كتابه في علوم القرآن (البيان في مباحث من علوم القرآن)؛ وذلك لأنَّه اقتصر فيه على ذكر بعض المباحث من علوم القرآن وفق المنهج المقرر في مادة علوم القرآن للسنة الأولى من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر حيث أُسند إليه تدريس هذه المادة، فكانت التسمية مناسبةً لمضمون الكتاب ومحتواه، وقد أشار إلى ذلك في المقدمة؛ فقال:" ... فإنَّه لمَّا أُسند إليَّ دراسة المنهج المقرر في علوم القرآن للسنة الأولى من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر رأيتُ أنْ أضع في هذا المنهج كتابًا أتحرى فيه إعطاء المعنى حقه من الشرح في كلِّ مقام حتى يجيء كتابًا وافيًا بالغرض المقصود من هذا العلم، وسمَّيته: (البيان في مباحث من علوم القرآن)". أهـ[1].

طبعات الكتاب:

اطلعتُ على نسختين من كتاب البيان:

الأولى: طُبعت في حياة المؤلف رحمه الله بمطبعة دار التأليف بالقاهرة سنة ١٩٦٥م من غير تحديدٍ لها إنْ كانت الأولى أو غيرها، وتقع في (٣٢٨) صفحة، ولكثرة أخطائها المطبعية ذُيِّلتْ بفهرس يقع في ست صفحات لبيان الخطأ والصواب.

الثانية: طُبعت بعد وفاته رحمه الله بدار البيروتي بدمشق سنة ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، ووُصفت بأنَّها الطبعة الأولى، أخرجها واعتنى بها وقدَّم لها

(١) البيان في مباحث من علوم القرآن ص ١١.

الدكتور أحمد محمد الفاضل أستاذ التفسير وعلوم القرآن في كلية العلوم الإسلامية بجامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية في اسطنبول، وتقع في (٣٧١) صفحة، وتمتاز عن سابقتها بسلامتها من الأخطاء المطبعية مع العناية بعلامات الترقيم، وتخريج الآيات القرآنية في الصلب لا في الهوامش.

طريقة الدكتور غزلان في كتابه البيان:

وأعني بالطريقة هنا: الناحية الشكلية التي ترتسم في مخيلة القارئ بعد قراءته كتاب (البيان)، ويمكن إجمالها فيما يلي:

١- قدَّم لكتابه بمقدمةٍ جليلةٍ عرَّف فيها بالقرآن الكريم، وبيَّن أنواع هدايته إجمالًا وما تضمنه من موضوعات ونظم وقوانين شملت كلَّ نواحي الحياة؛ فكتب عن: القرآن والعقيدة، القرآن وضع النظم الكفيلة بإصلاح الحياة، القرآن وتحرير العقول، القرآن وتوجيه العقول إلى الانتفاع بما أودعه الله في الكون[١].

٢- ضمَّن كتابه تسعة مباحث من مباحث علوم القرآن، هي: مبحث تعريف علوم القرآن، مبحث نزول القرآن، مبحث أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل منه، مبحث أسباب النزول، مبحث المكيّ والمدنيّ من القرآن، مبحث جمع القرآن، مبحث آيات القرآن وسوره، مبحث كتابة القرآن، مبحث آداب تلاوة القرآن، وآداب حملته.

٣- عنون لكلِّ مبحثٍ من المباحث التي تناولها بعنوانٍ عامٍّ، مُرتِّبًا مسائله، ومُصدِّرها بعناوين فرعية تكثُر وتقلُّ حسب مسائل كلِّ مبحثٍ؛ كصنيعه في

(١) يُنظر: السابق ص ١٢- ٣١.

المبحث الأول الذي عنونه بـ (مبحث تعريف علوم القرآن)، ثم قسَّم مسائله إلى: (معنى كلمة علوم القرآن لغةً واصطلاحًا، القرآن لغةً وشرعًا، أسماء القرآن، تعريف القرآن بالمعنى الشرعي وذكر محترزات القيود، القرآن يطلق علم شخص ويطلق اسم جنس، إطلاقات القرآن عند المتكلمين، تعريف علوم القرآن وموضوعه وفوائده، متى عُرفت الأبحاث التي تُسمى علوم القرآن؟ طائفة من المؤلفات في الأبحاث القرآنية التي أُلف في كلٍّ منها على حدة، منهج التأليف في كلِّ بحثٍ على حدة، متى جُمعت هذه الأبحاث في مؤلفات خاصة بها وسُميت باسم علوم القرآن؟)[1].

٤- انتهج منهج التحليل والتفصيل وإعطاء كلِّ مسألة حقها من البيان؛ فلم يمرَّ على المسائل مرور الكرام، وإنَّما حرَّر كلَّ مسألةٍ تحريرًا، وحقَّقها تحقيقًا، ودقَّقها تدقيقًا، وذكر الخلاف، وأطال النفس في عرض الأدلة، وناقشها مناقشاتٍ طويلة، ورجَّح في النهاية ما ارتآه راجحًا، وعرض كلَّ ذلك في عبارةٍ محكمةٍ دقيقةٍ، وأسلوبٍ واضحٍ فريدٍ، ومنهجٍ علميٍّ رصينٍ، ليس فيه إيجازٌ مخلٌ ولا إطنابٌ مملٌ، ولا دعوى لا تستند إلي صحةٍ أو برهانٍ، وقد صرَّح بمنهجه هذا في مقدمة الكتاب وخاتمته مُبيّنًا أنَّه مقصوده الأعلى، وهدفه الأسمى حيث قال في المقدمة:" ... رأيتُ أنْ أضع في هذا المنهج كتابًا أتحرى فيه إعطاء المعنى حقه من الشرح في كلِّ مقام حتى يجيء كتابًا وافيًا بالغرض المقصود من هذا العلم". أه[2].

وقال في الخاتمة:" تمَّ بعون الله وتوفيقه هذا الكتاب الذي تناولتُ فيه بالشرح والبيان موضوعات (المنهج المقرر في علوم القرآن على طلبه السنة الأولى

(١) البيان في مباحث من علوم القرآن ص ٣٢- ٦١.
(٢) السابق ص ١١.

من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر)، وأرجو أن أكون قد وفيتُ بما وعدتُ به في مقدّمة هذا الكتاب من أنِّي سأُعطي كلَّ موضوع حقَّه من البحث والتمحيص".أهـ[1].

٥- صرَّح بمصادره التي اعتمد عليها واستقى منها مادة كتابه، وعزا الأقوال إلى قائليها في الأعمِّ الأغلب، وذيَّل الكتاب بثَبَتٍ ذكر فيه المصادر والمراجع[2]، وقد بلغت (٨٧) مرجعًا، وأكثر تلك المصادر اعتمادًا عليها على الإطلاق **(الإتقان للسيوطي)** حيث نقل منه شيخنا غزلان وعزا إليه ما يزيد على (١٢٠) مرةً، ثم **(البرهان للزركشي)** حيث نقل منه (٤٠) مرةً تقريبًا.

٦ – برزت شخصيته العلمية باستعماله المنهج النقدي؛ فلم يكتف بنقل الأقوال فقط دون تمحيصٍ وتنقيحٍ، وتعقبٍ وترجيحٍ، ولأهمية منهج الدكتور غزلان النقدي أفردتُ له المبحث التالي، وعلى الله قصد السبيل.

***

(١) السابق ص ٣٦٠.

(٢) السابق ص ٣٦١ – ٣٦٤.

المبحث الثالث: المنهج النقدي عند الدكتور غزلان في كتابه البيان

لمَّا كان من المسِّلَّم المعلوم أنَّ الكمال لله وحده، والعصمة لأنبيائه ورسله، والنقص والخطأ من طبيعة النفس البشرية؛ رأينا العلماء – جيلًا بعد جيلٍ – يعكفون على جهود مَنْ سبقهم في فنِّهم، ويقومون بشرح كلامهم وبيان مرادهم تارةً، أو تكميل ما تركوه وإتمام ما لم يذكروه تارةً أُخرى، أو ذكر إضافاتٍ مفيدة وفوائد فريدة ثالثةً، أو نقد أقوالهم والتنبيه على أوهامهم رابعةً، أو إصلاح خللٍ أو دفع زللٍ وقع في مصنفاتهم خامسةً، وقد كانت غايتُهم رحمهم الله من ذلك: حفظَ العلم وصيانته، والحرصَ على نقله على أكمل الوجوه وأصوبها، وتنقيةَ المؤلفات من الأخطاء والأوهام التي وقع فيها مؤلفوها[1] بحكم طبيعتهم البشرية؛ لذا كان النقد أمرًا لازمًا وحتمًا واجبًا في المناهج العلمية الرصينة، إذ به تتكامل مسيرة العلم وتتجدد وتتطور وتنمو، وتبلغ الحقَّ والصَّواب، وتُفارق الباطل والخطأ بقدر الطَّاقة البشرية، لأنَّ النقد ما هو إلا عملية تقويمٍ تبدأ بتتبع الأقوال والآراء والأفكار والنظر فيها بتدبرٍ وتأمُّلٍ ثم تحليلها وتفسيرها وفق قواعد متفق عليها، وتنتهي ببيان حالها والحكم عليها صحةً أو ضعفًا وقبولًا أو ردًّا، والتمييز بين جيِّدها ورديئها وصحيحها وسقيمها وقويِّها وضعيفها[2].

<u>وممَّا ينبغي التنبيه عليه في هذا المقام:</u> أنَّ النقد لا يُعنى فقط بالتمييز بين الصحيح والسقيم والقوي والضعيف بل يهدف أيضًا إلى بيان التفاضل بين

---

(١) يُنظر: مقدمة بحثي (تعقبات الشيخ الغماري في كتابه بدع التفاسير لآراء العلامة الزمخشري جمعًا ودراسة) ص ٢٩٠١، ٢٩٠٢.

(٢) يُنظر تعريف النقد لغةً واصطلاحًا: مقدمة في النقد الأدبي للدكتور علي جواد طاهر ص ٣٣٩.

الحسن والأحسن والفاضل والأفضل والصحيح والأصحِّ والمقبول والأكثر قبولًا[1].

إذا تمهَّد لك هذا، فاعلم أنَّ معالم المنهج النقدي عند شيخنا غزلان عليه الرحمة قد برزت في ثلاثة محاور:

المحور الأول: الاستدراك، وأعني به تتبعه رحمه الله آراء العلماء وأقوالهم في علوم القرآن، والنظر فيها بتدبرٍ ثم التعليق عليها بما ينقضها ويبطلها، أو يصلح خللها، أو يرفع الوهم عنها[2]، ومن أمثلة ذلك: ما سيقف عليه القارئ الكريم في هذا البحث من استدراكاته على الإمام السيوطي رحمها الله.

(١) أفدتُه من منهج النقد في التفسير للدكتور إحسان الأمين ص ٥، ٦.

(٢) الاستدراك في اللغة: طلب تدارك السامع، وفي الاصطلاح: رفع توهُّمٍ تولَّدَ من كلام سابق. التعريفات للجرجاني ص: ٢١. أي: التعليق على كلامٍ سابقٍ بما ينقضه ويبطله، ويصلح خلله، ويرفع الوهم عنه، وذلك بعد تتبعه وتفحصه وتدبره والنظر فيه، ومن ثمَّ، فإنَّ المراد من استدراكات الدكتور غزلان على الإمام السيوطي في هذا البحث: تتبع الدكتور غزلان آراء السيوطي، والنظر فيها بتدبرٍ لردّها وإبطالها، أو إصلاح خللها.

المحور الثاني: الترجيح بين الأقوال[١] حيث لم يتوقف عمله رحمه الله عند حدَّ نقل الأقوال فقط، بل اختار ورجَّح وضعَّف وصحَّح، وصرَّح بالرأي المختار عنده والرَّاجح لديه فيما حقَّقه من مسائل، ومن أمثلة ذلك: ترجيحه رحمه الله قول الجمهور بأنَّ القرآن نزل إلى السماء الدنيا ليلة القدر جملةً واحدةً، ثمَّ نزل بعد ذلك منجمًا[٢]، وترجيحه أنَّ مدة نزول القرآن منجمًا اثنتان وعشرون سنةً ونصف سنةً[٣]، وترجيحه أنَّ أول ما نزل من القرآن على الإطلاق صدر سورة العلق[٤]، وأنَّ آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق آية الربا[٥].

المحور الثالث: الذَّبُ عن القرآن الكريم حيث ردَّ رحمه الله شبهات الطَّاعنين على القرآن بعباراتٍ جليلةٍ واضحة البرهان قوية البيان، تستند إلى

---

(١) التَّرجيح في اللغة: جَعْلُ الشيء راجحًا. يُنظر: الصِّحاح للجوهري (٣٦٤/١) مادة (رجح). وفي اصطلاح الأُصوليين: تقوية إحدى الأمارتين الظنيتين على الأخرى لدليل، ولا يكون إلا مع وجود التعارض، فحيث انتفى التعارض انتفى الترجيح؛ لأنَّه فرعه، لا يقع إلا مرتبًا على وجوده. يُنظر: مختصر التحرير شرح الكوكب المنير للعلامة ابن النجار (٦١٦/٤). ومن ثمَّ، فإنَّ المراد من ترجيحات الدكتور غزلان: تقويته أحد الأقوال في المسألة لدليلٍ أو قاعدة تقويه، أو لتضعيف أو ردِّ ما سواه.

(٢) البيان في مباحث من علوم القرآن ص ٦٧ – ٧٠.

(٣) السابق ص ٨٣.

(٤) السابق ص ٩٥ – ٩٦.

(٥) وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٨]. يُنظر: السابق ص ١٠٦.

صحيح المنقول وصريح المعقول، وتعتمد على منهجٍ علميٍّ سديدٍ يشهد لصاحبه بغيرته على كتاب الله وحبه الجمّ له، وينبئ عن عالمٍ أزهريٍّ موسوعيٍّ يتكلم في كلِّ العلوم، ويتكئ عليها في إفحام الخصوم، وإن رمتَ دليلًا على ذلك – أيُّها القارئ الكريم– فاقرأ ما سطَّره قلم شيخنا عليه الرَّحمة في إبطاله زعم الزاعمين أنَّ ألفاظ القرآن ليست من عند الله تعالى، وإنَّما الذي من عنده هو المعاني فقط[١]، وانظر ما أنتجه يراعه وقلمه في ردِّه على بعض الكاتبين المعاصرين القائلين: إذا جُهل سبب نزول الآية أدَّى ذلك إلى تعطيل العمل بها عند القائلين بخصوص السبب[٢]، وتأمَّل – كذلك– دفعه طيَّب الله ثراه الشبهات المثارة حول تواتر القرآن[٣].

مؤهلات الدكتور غزلان النقدية:

الناظر في كتاب البيان يُدرك من أول وهْلةٍ تمتع شيخنا غزلان بشخصيةٍ علميةٍ تعددت مواهبها، وتنوعت مشاربها، واتسمت بسعة الاطلاع وغزارة العلم ودقة الفهم وعمق الفكرة ورسوخ القدم وعلو الكعب في شتى الفنون ومختلف العلوم، ولِمَ لا؟ وقد تخرَّج رحمه الله في الأزهر الشريف، واتصف بما يتصف به – أو ينبغي أن يتصف به– كلُّ عالمٍ أزهريٍّ من الإلمام بعلوم المنقول والمعقول، وقد تجلَّى ذلك فيما سطَّره قلم الدكتور غزلان من إعماله قواعد اللغة، وقوانين المنطق، واستعماله علم الأصول، وعلم الحديث روايةً ودرايةً، وقواعد الاستنباط والترجيح، وآداب البحث والمناظرة وغيرها.

---

(١) السابق ص ٧٢ – ٨٠.

(٢) السابق ص ١٤٦، ١٤٧.

(٣) السابق ص ١٨٥ – ١٨٨، ٢١٤ – ٢١٧.

كما يُدرك الناظر في كتاب البيان جرأة الشيخ غزلان وشجاعته وتحريه الموضوعية في الحكم، وعدم مجاملةِ أحدٍ أو محاباته في العلم؛ فلم يغترَّ طيَّب الله ثراه بأسماء العلماء اللَّامعة، ولم يقف عند ما تردَّد أنَّه من المسلَّمات المتوارثة القاطعة، وإنَّما أعمل القواعد، وحكَّم الضوابط بُغية الوصول إلى الحقِّ والوقوف على الصَّواب دون اتباعٍ لهوى أو تعصبٍ لمذهبٍ أو تقديسٍ لأحدٍ كائنًا مَنْ كان.

وهو مع كلِّ ذلك منصفٌ متواضعٌ مالكٌ لنفسه، لا يستفزُّه غرورٌ ولا يُصيبه عُجبٌ ولا يعتريه كبرٌ، بل متأدِّبٌ مع العلماء الذين نقد أقوالهم وتعقَّب آراءهم، لا ينتقص من أقدارهم وفضلهم، ولا يحطُّ من مكانتهم ومنزلتهم، ولا يقدح في علمهم وفقههم، وإنَّما يعترف لهم بالإمامة والعلم، ويقرُّ لهم بالحفظ والفهم، ويحفظ لهم فضل السَّبق حتى إنَّك إذا استنطقت عباراته وكلماته أثناء استدراكاته ونقداته على العلماء لقالت لك في حقِّ كلِّ عالمٍ منهم ما قاله ابن مالك[1] في حقِّ ابن معطي[2]:

---

(١) هو محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجيّاني، أبو عبد الله، جمال الدين، أحد الأئمة في علوم العربية، ولد في جيان (بالأندلس) سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م، وانتقل إلى دمشق فتوفي فيها سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٤م، من أشهر كتبه: الألفية في النحو، وتسهيل الفوائد، والكافية الشافية، ولامية الأفعال، وعدة الحافظ وعمدة اللافظ. يُنظر: الأعلام للزركلي ٢٣٣/٦، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٢٣٩/١١.

(٢) هو يحيى بن معطي بن عبد النور زين الدين المغربي، إمام في العربية أديب شاعر، مولده بالمغرب سنة ٥٤٦هـ، ثم رحل إلى مصر ومات بها سنة ٦٢٨هـ، من تصانيفه: الدرة الألفية في علم العربية، ونظم الجمهرة لابن

وهو بســبقٍ حائزٌ تفضيلًا *** مستوجبٌ ثنائي الجمــيلًا.**

والله يقضي بهبـاتٍ وافرة *** لي وله في درجات الآخـرة[1].**

وتلك أهمُّ سمات الناقد البصير ومؤهلاته، ويمكن إجمالها فيما يلي:

أولها: غزارة العلم، ودقة الفهم، وسعة الاطلاع في شتى العلوم.

ثانيها: الجرأة والشجاعة الممزوجة بالموضوعية.

ثالثها: الإنصاف والتواضع.

=

دريد، والمثلث في اللغة، وقصيدة في العروض، وقصيدة في القراءات السبع. يُنظر: معجم الأدباء للحموي ٢٨٣١/٦، وإنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ٤٤/٤.

(١) الخلاصة في النحو (ألفية ابن مالك) ص ٩.

القواعد التي استند إليها الدكتور غزلان في نقده للأقوال:

سبق البيان بأنَّ عملية تقويم الأقوال والآراء لابُدَّ لها من قواعد وضوابط يعتمد عليها الناقد ويستند إليها في رحلته النقدية للأقوال وتفحصه للآراء حتى يكون حكمه في نهاية سياحته مقبولًا قويًّا، وإلا كان مجرد اتباعٍ لهوى أو تعصبٍ لمذهبٍ، وقد اعتمد شيخنا غزلان رحمه الله في رحلته النقدية على ضوابط علمية وقواعد منهجية اتفق عليها العلماء وتوارثوها جيلًا بعد جيلٍ، وسأعرض للقارئ الكريم بعضًا من تلك القواعد تصديقًا لما سبقتُ بذكره فيما يلي:

القاعدة الأولى: التمييز بين الاسم والصفة، وقد استدرك بها على منْ تساهل فخلط بين أوصاف القرآن وأسمائه فجعلها كلَّها أسماء، دون العناية بالتمييز بين ما جرى منها مجرى الأسماء وبين ما هو باقٍ على الوصفية[1].

---

(١) يُنظر: البيان في مباحث من علوم القرآن ص ٣٧.
ويقصد رحمه الله بمَنْ تساهل فلم يُفرّق بين الاسم والصفة أبا الحسن الحَرَالي المراكشي الذي أفرد لأسماء القرآن مصنفًا وأنهاها إِلَى نَيِّفٍ وَتِسْعِينَ، ويعني – كذلك– أبا المعالي عزَيْزي بن عبد الملك المعروف (بشيذلة) حيث نقل عنه الزركشي والسيوطي قوله:" اعلم أنَّ الله سمَّى القرآن بخمسةٍ وخمسين اسمًا". أهـ، ثم عدَّدها خالطًا بين الاسم والصفة. يُنظر: البرهان في علوم القرآن (النوع الخامس عشر: معرفة أسمائه واشتقاقاتها) ٢٧٣/١ –٢٧٦، والإتقان (النوع السابع عشر: في معرفة أسمائه وأسماء سوره) ١٧٨/١ – ١٨١.

القاعدة الثانية: التبادر أمارة الحقيقة، وقد استعملها في ترجيحه المعنى الأصلي لكلمة النزول، وهو الانحدار من علْوٍ إلى سُفْلٍ؛ لأنَّه المتبادر من هذه المادة عند إطلاق لفظ النزول(١).

القاعدة الثالثة: الأخذ بالظَّاهر ما لم يدل دليلٌ على التأويل، والمجاز لا يُصار إليه إلا إذا تعذَّرت الحقيقة، وقد رجَّح بهما قول الجمهور بنزول القرآن جملةً واحدةً إلى بيت العزَّة في السماء، وردَّ قول المنكرين له حيث إنَّ الظَّاهر من إضافة الإنزال في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾ [البقرة: ١٨٥]، وفي سورة الدخان: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ**﴾ [الدخان: ٣]، وفي سورة القدر: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾ [القدر: ١] إلى القرآن كلِّه، لا إلى بعضٍ منه دون بعضٍ،

=

فإن قلتَ: ما الفرق بين الاسم والصفة؟ يُقال لك: فرَّق أبو هلال العسكري بينهما بثلاثة أوجه:

أولها: الاسم أعمُّ من الصّفة، فَكلُّ صفةٍ اسْم وَلَيْسَ كلُّ اسْمٍ صفة؛ إذ الصفة اسمٌ مُخَصّصٌ مُفِيدٌ مثل زيد الظريف، وَعَمْرو الْعَاقِل.

ثانيها: الصّفة تَابِعَة للاسم فِي إعرابه، وَلَيْسَ كَذَلِك الِاسْم من حَيْثُ هُوَ اسْم.

ثالثها: يَقع الْكَذِب والصدق فِي الصّفة لاقتضائها الْفَوَائِد، وَلَا يَقع ذَلِك فِي الِاسْم واللقب؛ فالقائل للأسود أَبيض على الصّفة كَاذِب، وعَلى الاسم واللقب غير كَاذِب. الفروق اللغوية ص ٣٠ بتصرفٍ يسيرٍ.

(١) يُنظر: البيان في مباحث من علوم القرآن ص٦٢، ٦٣. قلتُ: ومن ثَمَّ قال ابن فارس:" النُّونُ وَالزَّاءُ وَاللَّامُ كَلِمَةٌ صَحِيحَةٌ تَدُلُّ عَلَى هُبُوطِ شَيْءٍ وَوُقُوعِهِ". أهـ. مقاييس اللغة ٤١٧/٥ (مادة نزل).

قائلًا رحمه الله: "فاقتضى ظاهرها أنَّ القرآن أُنزل كلُّه في ليلةٍ واحدةٍ من ليالي شهر رمضان، وهي ليلة القدر المباركة، فيكون النزول المنوَّه به في هذه الآيات الثلاث غير النزول على النبي ﷺ؛ لأنَّ هذا كان مفرَّقًا في مدة النبوة كلِّها، ولم يكن في ليلةٍ واحدةٍ، فمَن تأوَّل هذه الآيات على غير المعنى المتقدم بأنْ حملها على ابتداء الإنزال، أو حملها على أنَّ القرآن نزل أبعاضًا، كلُّ بعضٍ منه في ليلة قدرٍ من سنة من سني النبوة- على أنَّ المراد بليلة القدر جنسُها لا واحدة فقط- فإنَّه يخرج بذلك عن مقتضى ظاهرها ..... وهؤلاء لا بدَّ لهم من تأويل هذه الآيات بأحد هذين الوجهين، وكلاهما مجازٌ لا حقيقة، والمجاز لا يُصار إليه إلا إذا تعذَّرت الحقيقة".أهـ[1].

القاعدة الرابعة: قول الصَّحابي ممَّا لا مجال للرأي فيه إذا لم يكن معروفًا بالأخذ عن الإسرائيليات له حكم المرفوع إلى النبي ﷺ، وقد ذكرها صراحةً في معرض ترجيحه – كذلك- قول الجمهور بالنزول الجملي إلى بيت العزَّة في السماء الدنيا، وأيَّد بها حكم السيوطي بالصِّحة[2] على الروايات الواردة عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما في ذلك، موضِحًا أنَّ تلك الروايات وإنْ كانت موقوفةً على ابن عباسٍ إلا أنَّ لها حكم المرفوع وفق هذه القاعدة[3].

القاعدة الخامسة: الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال، وقد ردَّ بها استدلال السيوطي بقوله تعالى: ﴿**فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾

(١) البيان في مباحث من علوم القرآن ص ٦٦، ٦٧، ٧٠.
(٢) يُنظر: الإتقان في علوم القرآن (١/١٤٦، ١٤٧) (النَّوْعُ السَّادِسَ عَشَرَ: فِي كَيْفِيَّةِ إِنْزَالِهِ)، والدر المنثور في التفسير بالمأثور (١/٤٥٦ – ٤٥٨).
(٣) البيان في مباحث من علوم القرآن ص ٦٩.

[الأعراف: ١٤٤]، وقوله سبحانه: ﴿**وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾ [الأعراف: ١٤٥]، وقوله تعالى: ﴿**وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ**﴾ [الأعراف: ١٥٠]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ**﴾ [الأعراف: ١٥٤] على نزول التوراة جملةً واحدةً؛ إذ من المحتمل أن تكون الألواح غير التوراة(١)، وصرَّح بها في ردِّه – كذلك– على القائلين بتوقيفية الرسم العثماني(٢).

القاعدة السادسة: النقض والمعارضة، واستعملها في إبطاله دعوى السيوطي والجمهور نزول الكتب السماوية السابقة جملةً واحدةً(٣).

القاعدة السابعة: مرسل الصَّحابي حجةٌ، وقد صرَّح بها أثناء تعريضه بمَنْ طعن في حديث أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي(٤) بأنَّها لم تكن حاضرة القصة قائلًا:"وهذا الحديث يجوز أن تكون عائشة رضي الله

---

(١) سيأتي تفصيل هذه المسألة في المبحث الثاني ص ٢٣ – ٢٨.

(٢) يُنظر: البيان في مباحث من علوم القرآن ص ٢٩٠.

(٣) يُنظر: ص ٢٣ – ٢٨ من هذا البحث. والنقض: إبطال الدليل بدون تعيين مقدمة من مقدماته، بشاهد التخلف، أو شاهد فساد آخر. أمَّا المعارضة فهي لغةً المقابلة على سبيل الممانعة، واصطلاحًا: إثبات المعارض نقيض ما ادَّعاه المعلل واستدل عليه، أو ما استلزمه نقيضه بأن كان مساويًا له أو أخص منه. يُنظر: علم آداب البحث والمناظرة للشيخ مصطفى أفندي صبري ص٤٦، ٥٣.

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه– كتاب بدء الوحي– باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ ١/٧ رقم (٣)، ومسلم في صحيحه – كتاب الإيمان– باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ١/١٣٩ رقم (١٦٠).

عنه سمعته من الرسول ﷺ وإن لم تصرِّح بذلك، ويجوز أن تكون سمعته من بعض الصحابة، فيكون حديثًا مرسلًا، وعلى فرض كونه مرسلًا فإرساله لا يقدح في حجّيّته؛ لأنَّ مرسل الصحابي حجّة بلا خلاف يعتد به في ذلك".أهـ[1].

القاعدة الثامنة: النص مقدَّمٌ على الاجتهاد، وقد استعملها أثناء إزالته التعارض بين حديث أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها القاضي بأولية صدر سورة العلق أوليةً مطلقةً، وبين حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه المفيد بظاهره أولية صدر سورة المدثر أوليةً مطلقةً أيضًا، فرَّجح الدكتور غزلان أنَّ جابرًا رضي الله عنه استخرج ذلك باجتهاده، وليس هو من روايته، وأنَّه لا علم عنده بقصة مجيء جبريل عليه السَّلام بصدر سورة العلق قبل ذلك، وتكون أُمُّنا عائشة عندها زيادة علم، فيُقدَّم على اجتهاد جابر؛ لأنَّ النَّص مقدَّمٌ على الاجتهاد[2].

القاعدة التاسعة: القول المحتفُّ بعدة قرائن مقدَّمٌ على غيره، وقد رجَّح بها رواية ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنَّ آخر ما نزل من الآيات على الإطلاق آية الربا؛ لورودها في صحيح البخاري[3]، ولما هو معروفٌ من أنَّ ابن

(١) البيان في مباحث من علوم القرآن ص ٩٦.

(٢) السابق ص ١٠١، ١٠٢.

(٣) يُنظر: صحيح البخاري- كتاب التفسير- باب ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ ١٦٥٢/٤ رقم (٤٢٧٠).

عباس أعلم بشؤون القرآن من غيره، ولتعدد الروايات في أنَّها آخر آيةٍ نزلت[1].

القاعدة العاشرة: تقديم ما اتفق على روايته الشيخان – البخاري ومسلم– على غيره، وقد رجَّح بها أنَّ آخر ما نزل من السور على الإطلاق سورة براءة؛ لكونها من رواية الشيخين[2].

---

(١) يُنظر: البيان في مباحث من علوم القرآن ص ١١١. هذا إذا أُريد الترجيح بين الروايات الواردة في آخر ما نزل من الآيات، أمَّا أُريد الجمع بين الروايات كان على الوجه الذي ذهب إليه السيوطي وابن حجر في آية الربا، وآية ﴿**وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ**﴾ [البقرة: ٢٨١]، وآية الدين؛ لأنَّ الظاهر أنَّها نزلت دفعةً واحدةً، كترتيبها في المصحف؛ ولأنَّها في قصةٍ واحدةٍ، فأخبر كلُّ راوٍ عن بعض ما نزل بأنَّه آخر، وذلك صحيح. يُنظر: فتح الباري ٣٩٧/١٢، والإتقان في علوم القرآن (النوع الثامن: معرفة آخر ما نزل) ١٠٢/١.

(٢) يُنظر: صحيح البخاري – كتاب التفسير– باب ﴿**يستفتونك قل: الله يفتيكم في الكلالة**﴾ ٥٠/٦ رقم (٤٦٠٥)، وصحيح مسلم – كتاب الفرائض– باب آخر آية أنزلت آية الكلالة ١٢٣٧/٣ رقم (١٦١٨)]، ويكون معنى آخِريتها أنَّها آخر سورة تكاملت أجزاؤها بنزول أكثرها متأخرًا عن نزول أكثرية كلِّ ما عداها من السور، وهذا لا ينافي أن ينزل بعدها آياتٌ قليلةٌ من سور أخرى نزل أكثرها قبل نزول أكثر براءة كآية الربا مثلًا، فتكون الآخرية المطلقة بالنسبة للقرآن كله للآيات، لا للسور. يُنظر: البيان في مباحث من علوم القرآن ص ١١١.

=

قلتُ: هذا إذا أُريد الترجيح بين الروايات الواردة في آخر ما نزل من السور، أمَّا إنْ أُريد الجمع فيُقال: إنَّ هذا القول معارضٌ بما أخرجه مسلم في صحيحه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: قال لي ابن عباس: تعلم – وقال هارون: تدري – آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعًا؟ قلتُ: «**نعم، إذا جاء نصر الله والفتح**»، قال: صدقت. [صحيح مسلم – كتاب التفسير ٤/ ٢٣١٨ رقم (٣٠٢٤)]. ويمكن إزالة هذا التعارض بالجمع والتوفيق بين الدليلين بأن يُقال: إنَّ آخرية سورة التوبة مقيدةٌ بكونها آخر ما نزل في شأن تشريع الجهاد والقتال، أو على أنَّ في الكلام تقديرًا؛ أي: من أواخر السور نزولًا، فتكون آخريتُها إضافيةً لا حقيقيةً [يُنظر: المدخل لدراسة القرآن للدكتور محمد أبي شهبة ص ١٢١] أمَّا سورة النصر فهي آخر سورة نزلت كاملة، وممَّا يؤيد ذلك عادة الوحي الشريف في نزول السور القصار من المفصل جملةً واحدة، بالإضافة إلى ما تضمنته سورة النصر من الإشارة إلى معنى الوفاة المستلزمة لآخرية النزول، كما فهم ذلك حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فيما أخرجه البخاري عنه في صحيحه، قال رضي الله عنهما لمَّا سئل ما تقول في سورة النصر؟:" قلتُ: «هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له»، قال: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾ [النصر: ١] «وذلك علامة أجلك»، ﴿**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**﴾ **[النصر: ٣]**، فقال عمر: «ما أعلم منها إلا ما تقول» [صحيح البخاري – كتاب التفسير – بَابُ قَوْلِهِ: ﴿**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**﴾ [النصر: ٣] ١٧٩/٦ رقم (٤٩٧٠)]. وبهذا التوفيق – كما ترى– نكون قد جمعنا بين

القاعدة الحادية عشر: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، نقد بها فهم الزركشي والسيوطي جواب ابن عباس رضي الله عنهما سؤال مروان بن الحكم عن قوله تعالى: ﴿**لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [آل عمران: ١٨٨] أنَّه من العام الذي أُريد به الخصوص، كما استدرك بها على السيوطي قصره قوله تعالى: ﴿**وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى**﴾ [الليل: ١٧] على أبي بكر الصديق رضي الله عنه دون غيره(١).

القاعدة الثانية عشر: إذا كان المدَّعى أعمَّ من الدليل؛ فإنَّ الدليل لا يثبته، نقد بها استدلال الزركشي عليه الرحمة بأثر ابن مسعود رضي الله عنه «كلُّ شيءٍ نزل فيه ﴿**يَآ أَيُّهَا النَّاسُ**﴾ فهو بمكة، وكلُّ شيءٍ نزل فيه ﴿**يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا**﴾ فهو بالمدينة»(٢) على أنَّ المكي ما وقع خطابًا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابًا لأهل المدينة؛ لأنَّ الغالب على أهل مكة الكفر، فخوطبوا بـ ﴿ **يَآ أَيُّهَا النَّاسُ**﴾ وإن كان غيرهم داخلًا فيهم، وكان الغالب على أهل المدينة الإيمان، فخوطبوا بـ ﴿ **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا**﴾ وإن

=

الدليليْن الصحيحيْن وفق القاعدة المقررة (إعمال الدليليْن الصحيحيْن خيرٌ من إهمال أحدهما)، والله أعلم.

(١) ستأتي دراسة الموضعين بالتفصيل ص ٣٢ – ٤٥ من هذا البحث.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٠/٣ رقم (٤٢٩٥)، وقال:" صحيح ولم يخرجاه"، وسكت عنه الذهبي، والبيهقي في دلائل دلائل النبوة ١٤٤/٧، والبزَّار في البحر الزخار ٣٣٦/٤ رقم (١٥٣١)، وقال:" وهذا الحديث يرويه غير قيس مرسلًا، ولا نعلم أحدًا أسنده إلا قيس".أهـ.

كان غيرهم داخلًا فيهم[1] حيث تعقَّبه بأنَّ " حمل كلام ابن مسعود رضي الله عنه على هذا القول لا يصح؛ لأنَّ كلامه رضي الله عنه في صيغتين خاصّتين من صيغ الخطاب، وهما: ﴿ **يَآ أَيُّهَا النَّاسُ**﴾ و ﴿**يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا**﴾، لا في مطلق خطاب كما هو صريح هذا القول، فكيف يكون الأخص – يعني كلام ابن مسعود رضي الله عنه– عين الأعم – يعني فحوى الاصطلاح–؟!". أهـ[2].

---

(١) البرهان في علوم القرآن (النوع التاسع: معرفة المكي والمدني) ١/١٨٧.

(٢) البيان في مباحث من علوم القرآن ص ١٥٥.

ويعني شيخنا غزلان عليه الرحمة أنَّ كلام ابن مسعود رضي الله عنه خاصٌ بالسور التي وردت فيها هاتان الصيغتان فقط، بخلاف الاصطلاح فإنَّه عامٌّ في كلِّ السور ؛ فلم يقصد رضي الله عنه وضع تعريفٍ وضابطٍ للمكي والمدني، وإنَّما غاية المفهوم من كلامه ذكر علامةٍ يُعرف بها المكي من المدني، وهذه العلامة أغلبيةٌ وليست مضطردةً دائمًا كما هو ظاهرٌ لقراء القرآن وحفَّاظه، فكيف بابن مسعود المشهود له من رسول الله ﷺ بإتقانه وإحكامه قراءة القرآن، والذي قال فيه: «خُذُوا القُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ» [أخرجه البخاري – كتاب فضائل القرآن – باب القراء من أصحاب النبي ﷺ ٦/١٨٦ رقم (٤٩٩٩)، ومسلم – كتاب الفضائل – باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله تعالى عنهما ٤/١٩١٣ رقم (٢٤٦٤)]، وقال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ» [أخرجه أحمد في مسنده ٤/١٩٣ رقم (٤٢٥٦)، وصحَّح إسناده الشيخ أحمد شاكر، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٢٨٧ رقم (١٥٥٤٨)، وقال:" رواه أحمد، والبزار، والطبراني، وفيه عاصم بن أبي النجود، وهو على ضعفه حسن الحديث، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح، ورجال الطبراني رجال الصحيح

القاعدة الثالثة عشر: مطالبة المدَّعِي بالدليل الصحيح، وإلا كان قوله مجرد دعوى لا دليل عليها، واستعملها في إبطال دعوى القائلين أنَّ صحف أبي بكرٍ رضي الله عنه كان فيها منسوخ التلاوة أو ما ثبت برواية الآحاد(١)، ونقد بها – كذلك– دعوى السيوطي أنَّ العرضة الأخيرة نُسخ فيها شيءٌ من القرآن(٢)، ونقد بها أيضًا أقوال العلماء في حصر المصاحف التي كتبها عثمان رضي الله عنه في عددٍ معينٍ(٣).

القاعدة الرابعة عشر: شرط التعريف الحقيقي أن يكون جامعًا مانعًا، نقد بها ما حكاه السيوطي عن بعض العلماء في تعريف الآية القرآنية(٤).

وبهذه المباحث الثلاثة أكون قد انتهيتُ ممَّا أردتُ بيانه وذكره في هذا الفصل من التعريف بالدكتور غزلان، وكتابه (البيان)، ومنهجه النقدي فيه، وسأشرع الآن – بعون الله وتوفيقه – في بيان استدراكاته لآراء السيوطي، مُسلِّطًا الضوء على أهمِّ الأسس والقواعد التي اعتمد عليها في نقده لتلك الآراء، مُبديًا الرأي – بما يسر الله لي– فيما انتهى إليه، هل وُفِّق في نقده أو أنَّه قد جانبه الصواب؟ والله المستعان!

=

غير فرات بن محبوب، وهو ثقة".أهـ]؟! ومن هنا ترى إجادة شيخنا غزلان وإصابته الحق في استدراكه على الزركشي ومن تبعه في فهم أثر ابن مسعود رضي الله عنه، وتحميله ما لا يحتمله، فرحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عن العلم وأهله خير الجزاء.

(١) البيان في مباحث من علوم القرآن ص ٢٢٠، ٢٢١.

(٢) ستأتي دراسته في هذا البحث ص ٤٦ – ٤٩.

(٣) البيان في مباحث من علوم القرآن ص ٢٤٠ – ٢٤٣.

(٤) ستأتي دراسته في المبحث السابع من هذا البحث ص ٥٠، ٥١.

الفصل الثاني: استدراكات الدكتور غزلان على السيوطي رحمهما الله

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول نقد الشيخ غزلان حكاية السيوطي الأقوال الثلاثة في مسألة نزول القرآن بلفظه ومعناه دون العناية بالرَّدِّ على الباطل منها

رأي الإمام السيوطي رحمه الله:

تبع الإمام السيوطي العلامة الزركشي في ذكر ما نقله بعضهم عن أبي الليث السمرقندي رحمه الله[1] حكاية ثلاثة أقوال في المنزل على النبي ﷺ ما هو؟ فقال:" أحدها: أنَّه اللفظ والمعنى. والثاني: أنَّه إنَّما نزل جبريل على النبي ﷺ بالمعاني خاصة، وأنَّه ﷺ علم تلك المعاني، وعبَّر عنها بلغة العرب. والثالث: أنَّ جبريل إنَّما ألقي عليه المعنى، وأنَّه عبَّر بهذه الألفاظ بلغة العرب، وأنَّ أهل السماء يقرؤونه بالعربية، ثم إنَّه أنزل به كذلك بعد ذلك". أهـ[2].

---

(١) هو نصر بن محمد بن إبراهيم، الإمام الفقيه الحنفي، أبو الليث السمرقندي، الملقب بإمام الهدى، له تصانيف نفيسة، منها: تفسير القرآن، وعمدة العقائد، وبستان العارفين، وخزانة الفقه، وتنبيه الغافلين، وشرح الجامع الصغير، وعيون المسائل، وفتاوى وتراجم، ورسالة في " أصول الدين، توفي سنة ٣٨٥هـ. تُنظر ترجمته: الوافي بالوفيات للصفدي ٥٤/٢٧، والأعلام للزركلي ٢٧/٨.

(٢) البرهان في علوم القرآن (النوع الثاني عشر: في كيفية إنزاله) ٢٢٩/١، ٢٣٠، والإتقان في علوم القرآن (النوع السادس عشر: في كيفية إنزاله) ١٥٧/١، ١٥٨ بتصرفٍ يسيرٍ.

استدراك الشيخ غزلان طيَّب الله ثراه:

واستدرك عليهما الشيخ غزلان نقل هذه الأقوال عن السمرقندي دون تعقيبٍ على القولين الباطلين مع ظهور بطلانهما، ودون العناية بتمييز الحق من الباطل في قضيةٍ مهمةٍ كهذه. وتساءل الشيخ: هل عذرهما في ذلك " أنَّهما يريان أنَّ بطلان القولين المخالفين للحق هو من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى بيان؟ أو يريان أنَّهما جديران بالكشف عن بطلانهما إلا أنَّهما وكلا ذلك إلى جهد القارئ وتفكيره؛ فإنَّ مَنْ يقرأ المؤلفات الدقيقة المطولة مثل كتابيهما (البرهان) و(الإتقان) يكون في الغالب ممَّنْ له أهلية ذلك؟ وكيفما كان الأمر فليتهما لم يتساهلا إلى هذا الحدِّ في أمرٍ خطيرٍ تضافرت على إثباته آياتٌ كثيرةٌ من القرآن – يعني أنَّ القرآن منزَّلٌ بلفظه ومعناه من عند الله– حتى صرَّح العلماء بأنَّه من المعلوم بالضرورة".أهـ(١).

الدراسة والبيان:

من الأصول الثابتة بالنصوص المتكاثرة المتواترة الصريحة عند أهل السنة والجماعة أنَّ القرآن الكريم هو كلام الله المنزَّل على سيدنا رسول الله ﷺ بلفظه ومعناه عن طريق أمين الوحي جبريل عليه السَّلام، ومن الأدلة على ذلك:

أولًا: تلك الآيات الدالة بوضوحٍ على أنَّ القرآن الكريم إنَّما هو شيءٌ يُسمع بالآذان، ويُقرأ ويتلى باللسان، قال تعالى: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ [النحل: ٩٨]، وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا**﴾ [الإسراء: ٤٥]، وقال

(١) يُنظر: البيان في مباحث من علوم القرآن ص ٧٥ بتصرفٍ يسيرٍ.

تعالى: ﴿**وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا**﴾ [الجاثية: ٧، ٨].

ثانيًا: تسمية القرآن الكريم كلامًا في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ**﴾ [التوبة: ٦]، ولا شكَّ أنَّ الكلام هو الألفاظ التي تُسمع وتُقرأ.

ثالثًا: تسمية القرآن كتابًا في أكثر من آية؛ كقوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ**﴾ [الكهف: ١]، وقوله تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ**﴾ [ص: ٢٩]، وقوله: ﴿**تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ [الزمر: ١]، والكتاب مصدر بمعنى المفعول أي المكتوب، ولا يُكتب إلا الألفاظ(١).

رابعًا: تلك الآيات الناطقة بعربية القرآن الكريم في أسلوبه المنزَّل به؛ كقوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [يوسف: ٢] وأكثر ما ترى هذا الوصف في فواتح السور؛ تنبيهًا عند البدء في السورة على نزول القرآن بلفظه المعجز، كما تلاه الرسول ﷺ وبلَّغه وتواتر عنه، وممَّا يُعزِّز ذلك أنَّ تلك الفواتح تأتي مقرونةً بذكر الكتاب أو القرآن غالبًا للإشادة به، وأنت خبيرٌ بأنَّ الوصف بالعربية إنَّما يكون للألفاظ لا للمعاني(٢).

---

(١) تُنظر هذه الأدلة الثلاثة: البيان في مباحث من علوم القرآن ص ٧٢ – ٧٤ بتصرفٍ واختصارٍ.

(٢) يُنظر: في رياض القرآن للشيخ محمد عبد اللطيف السبكي ص ٤٧، ٤٨.

خامسًا: كون القرآن معجزًا يدلُّ دلالةً واضحةً أنَّ القرآن من عند الله بلفظه ومعناه؛ لأنَّ المعجزة أمرٌ خارق للعادة، وهو لا يكون إلا من الله، والقائلون بنزول المعنى دون اللفظ، يدَّعون أنَّ الألفاظ من جبريل عليه السَّلام، أو من النبي ﷺ، لا من الله عزَّ جلَّ، وعلى هذا تكون الآيات الدالة على أنَّ القرآن معجزٌ ليست بصادقة(١).

سادسًا: كون القرآن متعبدًا بتلاوته يدلُّ – كذلك– على أنَّه من عند الله بلفظه ومعناه؛ إذ لو لم تكن الألفاظ منزلةً ما تعبدنا الله بتلاوتها(٢).

سابعًا: الاستدلال بقوله تعالى: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ**﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤] على نزول جبريل عليه السَّلام بالمعنى فقط غير سديدٍ؛ لأنَّ القلب كما ينزل عليه المعنى ينزل عليه اللفظ – كذلك– ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ**﴾ أي بالقرآن ﴿... **لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ**﴾ أي: في قلبك ﴿**وَقُرْآنَهُ**﴾ أي: وقراءته على لسانك ﴿**فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾ [القيامة: ١٦ – ١٨] أي: فإذا قرأناه عليك بواسطة أمين الوحي جبريل فاتبع قراءته؛ فدل قوله: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ**﴾ على أنَّ ألفاظ القرآن بمعانيها جُمعت في قلبه ﷺ بطريق الوحي إليه، ودل قوله: ﴿**وَقُرْآنَهُ**﴾ على أنَّ الذي جُمع في قلبه ﷺ شيءٌ يُقرأ، والذي يُقرأ هو الألفاظ.

أضف إلى ذلك أنَّ تمام آية سورة الشعراء المستدَلِّ بها والآية التي تليها مباشرةً يدل على أنَّ جبريل نزل باللفظ والمعنى معًا، لا بالمعنى فقط، وذلك

---

(١) يُنظر: البيان في مباحث من علوم القرآن ص٨٠.

(٢) يُنظر: منهج الفرقان في علوم القرآن للشيخ محمد علي سلامة ص٢٩.

قوله تعالى: ﴿**لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾ [الشعراء: ١٩٤، ١٩٥]، واللسان هنا لا معنى له إلا اللغة التي هي الألفاظ، وهذا القول الكريم ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾ متعلق بـ ﴿**نَزَلَ**﴾ من قوله: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ**﴾ على الصحيح، وعليه يكون كلامًا صريحًا في الدلالة على نزول اللفظ والمعنى معًا(١).

ومن خلال تلك الأدلة القوية الواضحة السابقة يتجلى أنَّ القول بنزول القرآن بمعناه فقط من عند الله، وأنَّ الألفاظ من جبريل عليه السَّلام، أو من وضع سيدنا محمدٍ ﷺ، قولٌ ساقطٌ عن الاعتبار؛ لمخالفته صريح القرآن كما سبق البيان، ولِمَا يترتب عليه من نفي الإعجاز عن القرآن، وإثبات التناقض بين آياته- حاشاه، ونفي كونه متعبدًا بتلاوته، وعلى الرغم من ذلك كلِّه فقد أثار بعض الناس احتمال نزول المعاني فقط من الله، وأنَّ التعبير بالألفاظ إمَّا أن يكون من جبريل عليه السَّلام، وإمَّا أن يكون من سيدنا محمدٍ ﷺ ممَّا جعل الدكتور غزلان طيَّب الله ثراه يستلُّ سيف الحق في إبطال هذا الاحتمال، ودحض شبهته، وإقامة الحجة الناصعة والأدلة القاطعة على مذهب الحق - أهل السنة والجماعة- مستدركًا على مَنْ حكى هذا القول الباطل دون دحضٍ أو تعقيبٍ، عائبًا عليه عدم التمييز بين الحق والباطل في مسألةٍ خطيرةٍ كهذه؛ ولهذا استدرك على الزركشي والسيوطي عليهما الرحمة في هذه المسألة.

أقول: جزى الله شيخنا غزلان خير الجزاء، وأجزل له المثوبة يوم اللقاء؛ فقد أجاد وأفاد، وأتى بما لا مزيد عليه بمستزيد من إقامة البراهين القاطعة

---

(١) يُنظر: البيان في مباحث من علوم القرآن ص ٧٦ - ٧٨ بتصرفٍ كبيرٍ واختصارٍ.

والأدلة الساطعة على نزول القرآن بلفظه ومعناه من عند الله تعالى، ونشكر له غيرته على القرآن الكريم، ونحمد له صولته وجولته على المشككين الطاعنين حيث بلغ كلامه رحمه الله في هذه القضية الخطيرة غاية النفاسة، وإصابة كبد الحقيقة غير أنَّني لا أراه محقًّا في نقده واستدراكه على الجبلين الشامخين والعلمين العالمين – الزركشي والسيوطي– أمَّا عدم توفيقه في نقد الحافظ السيوطي؛ فلأنَّ السيوطي عليه الرحمة قد أقام الحجة، ودحض الشبهة، ونصر الحق، وكسر الباطل في هذه المسألة المهمة بما نقله عن الخويي[1] من تقسيم كلام الله المنزَّل إلى قسمين: " قسمٌ قال الله لجبريل: قل للنبي الذي أنت مرسل إليه: إنَّ الله يقول: افعل كذا وكذا، وأمر بكذا وكذا، ففهم جبريل ما قاله ربه، ثم نزل على ذلك النبي ﷺ، وقال له ما قاله ربه، ولم تكن العبارة تلك العبارة. وقسمٌ آخر قال الله لجبريل: اقرأ على النبي ﷺ هذا الكتاب، فنزل جبريل بكلمةٍ من الله من غير تغييرٍ". أهـ[2].

---

(١) في الإتقان نُسب هذا الكلام للجويني، وهو تصحيفٌ من الناسخ؛ فالجويني لم يقل هذا الكلام قط، ودونك كتبه بين أيدينا لن تجده فيها، وإنَّما قاله الخويي – نسبةً إلى خوي إحدى بلاد أذربيجان– محمد بن أحمد بن الخليل شهاب الدين الشافعي المتوفى سنة ٦٣٩هـ، ونص كلامه هذا نقله عنه الصالحي في كتابه (سبل الهدى والرشاد) حيث قال:"وقال الإمام العلامة شهاب الدين محمد بن أحمد بن الخليل الخويي– بضم الخاء المعجمة– رحمه الله تعالى". أهـ ٢٥٦/٢. أفدتُه شفاهةً من زميلنا الدكتور أحمد محمد قاسم مدرس الحديث وعلومه بكلية أصول الدين بالقاهرة.

(٢) الإتقان في علوم القرآن (النوع السادس عشر: في كيفية إنزاله) ١٥٩/١ بتصرفٍ يسيرٍ.

ثمَّ عقَّب السيوطي على هذا النقل بما يؤيِّد ويعضِّد أنَّ القرآن هو القسم الثاني الذي لا دخل فيه لجبريل ولا لسيدنا محمد ﷺ سوى التحمُّل والتبليغ قائلًا:" قلتُ: القرآن هو القسم الثاني، والقسم الأول هو السنة؛ كما ورد أنَّ جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن؛ ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى؛ لأنَّ جبريل أداه بالمعنى، ولم تجز القراءة – يعني قراءة القرآن– بالمعنى لأنَّ جبريل أداه باللفظ، ولم يبح له إيحاءه بالمعنى، والسِّرُّ في ذلك: أنَّ المقصود منه التعبد بلفظه والإعجاز به؛ فلا يقدر أحدٌ أن يأتي بلفظ يقوم مقامه، وأنَّ تحت كلِّ حرفٍ منه معاني لا يُحاط بها كثرةً؛ فلا يقدر أحدٌ أن يأتي بدله بما يشتمل عليه".أهـ(١).

غاية ما هنالك أنَّه عليه الرحمة قد أخَّر هذا الكلام الذي نصر به مذهب أهل السنة والجماعة، ودحض به القوليْن الآخريْن بعض الشيء عن مكانه المناسب له واللائق به؛ فيبدو أنَّ الدكتور غزلان رحمه الله – كما افترض شيخنا العلامة أ.د/ إبراهيم خليفة طيَّب الله ثراه– " عَجِلَ فلم يصل إلى خاتمة المسألة المحكي فيها الباطل إلى جنب الحق من كتاب السيوطي، ولو وصل إلى هذه الخاتمة المتمثلة فيما نقله السيوطي عن الخويي وتعقيبه عليه بما يعضِّده لأنصف الرجل وأعطاه حقه".أهـ(٢).

والمهم أنَّ السيوطي قد عيَّن ووضَّح وأظهر المذهب الحق المختار لدى أهل السنة والجماعة، وهكذا فعل الإمام الزركشي، وإنْ كان لم ينصر الحق ويكسر الباطل من الأقوال الثلاثة كما صنع السيوطي إلا أنَّه ذكر من أول

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (النوع السادس عشر: في كيفية إنزاله) ١٥٩/١.

(٢) يُنظر: منة المنان في علوم القرآن ٩٧/٢، ٩٨ بتصرفٍ يسيرٍ.

الأمر أنَّ أهل السنة متفقون على القول الأول[1]- يعني أنَّ المنزل على النبي ﷺ هو اللفظ والمعنى معًا- ويفهم من كلامه عليه الرحمة أنَّ ما عدا هذا القول الأول من القولَيْن الآخريْن إنَّما هو مخالفٌ لما عليه أهل السنة. ومن وجهة نظري أنَّ صنيع الإماميْن الجليليْن قدرٌ كافٍ لقارئ كتابيْهما، فكما افترض شيخنا غزلان أنَّ الناظر في تلك الكتب الدقيقة المطولة؛ كالبرهان، والإتقان يكون في الأعمِّ الأغلب ممَّنْ يتمتع بأهليةٍ علميةٍ لا بأس بها تُمكِّنه من تمييز الحق من الباطل من الأقوال، والتفرقة بين الغثِّ والسمين من الآراء، أضف إلى ذلك أنَّ بطلان القولين المخالفين لمذهب أهل السنة والجماعة أشهر من أن يُذكَّر به، وأظهر من أن يُعرَّف به، فهو من الوضوح بمكان بحيث لا يحتاج إلى بيان، كما أنَّ الإلمام بتعريف القرآن والوقوف على خصائصه فيه ردٌّ على القولَيْن الباطليْن، ونصرٌ للقول المتفق عليه، وهو ما لا يجهله مسلمٌ؛ فلم يتساهلا كما قال الشيخ غزلان، وإنَّما وضَّحا وبيَّنا مذهب الحق في المسألة، والله أعلم.

***

(١) يُنظر: البرهان في علوم القرآن (النوع الثاني عشر: في كيفية إنزاله) ٢٢٩/١.

المبحث الثاني

نقد الشيخ غزلان أدلة السيوطي القاضية بنزول الكتب السماوية السابقة جملةً واحدةً

رأي الإمام السيوطي رحمه الله:

ذكر السيوطي رحمه الله أنَّ نزول الكتب السماوية السابقة جملةً واحدةً هو المشهور على ألسنة العلماء وفي كلامهم، حتى كاد أن يكون إجماعًا، وعزاه للجمهور، وصوَّبه بعد حكايته إنكار فضلاء عصره له وقولهم بنزولها مفرقةً كالقرآن، وانتصر لنزولها جملةً بثلاثة أدلة:

الدليل الأول: آية سورة الفرقان: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢].

ووجه استدلاله بها أنَّها نزلت ردًّا على قول اليهود أو المشركين لرسول الله ﷺ:"لَوْلَا أُنْزِلَ هَذَا الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ عَلَى مُوسَى"(١)، فلو أنَّ الكتب السماوية السابقة نزلت مفرقةً كالقرآن، لكان الردُّ عليهم ببيان أنَّ ذلك هو سنة الله في إنزال كتبه، فلمَّا عدل في الردِّ عليهم إلى بيان الحكمة من التنجيم دلَّ على صحته.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قالت اليهود: يَا أَبَا الْقَاسِمِ لَوْلَا أُنْزِلَ هَذَا الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ عَلَى مُوسَى فنزلت. وأخرجه من وجه آخر عنه بلفظ: "قال المشركون"، وأخرج نحوه عن قتادة والسدي. يُنظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢٦٨٩/٨ رقم (١٥١٢٦)، (١٥١٢٧)، (١٥١٢٨).

الدليل الثاني: الآيات التي تدل على إتيان موسى عليه السلام التوراة جملةً واحدةً مثل قوله تعالى لموسى يوم الصعقة: ﴿ **فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ**﴾ [الأعراف: ١٤٤، ١٤٥]، وقوله تعالى: ﴿**وألقى الألواح**﴾ [الأعراف: ١٥٠]، وقوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدىً وَرَحْمَةٌ**﴾ [الأعراف: ١٥٤]، وقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ**﴾ [الأعراف: ١٧١].

الدليل الثالث: الآثار الأربعة التي عزاها لابن أبي حاتم وحكم عليها بالصحة الدالة على إتيان موسى عليه السلام التوراة جملةً واحدةً[1].

(١) تُنظر هذه الآثار الأربعة: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١٥٦٢/٥ رقم (٨٩٥١)، ١٥٦٣/٥ رقم (٨٩٥٨)، ١٦١٠/٥ رقم (٨٥١٥)، ١٦١٠/٥ رقم (٨٥١٤)، وتُنظر الأدلة الثلاثة: الإتقان في علوم القرآن (النوع السادس عشر: في كيفية إنزاله) ١٥٣/١، ١٥٤.

استدراك الشيخ غزلان طيَّب الله ثراه:

بعد أن ساق الدكتور غزلان أدلة السيوطي الثلاث السابقة الذكر قال: " ولعلَّ البعض من فضلاء عصره الذي أنكر ذلك، يجيب عن الدليل الأول بأنَّ الرد على الكفار الذين عابوا على القرآن نزوله منجمًا ببيان الحكمة في نزوله، وعدم الرد عليهم بأنَّ التنجيم هو سنته تعالى في الكتب السابقة ... لا يدل على شيءٍ سوى أنَّ بيان الحكمة يصلح أن يكون ردًا، ولا ينفي أنَّه يمكن الردُّ عليهم بطريق آخر ككون التنجيم هو سنته تعالى في إنزال الكتب السابقة، فيكون للردّ عليهم طريقان اختار القرآن أحدهما.

وأمَّا الدليل الثاني فلعلَّهم يجيبون عنه بأنَّه لم يُذكر فيه صراحةً أنَّ التوراة نزلت جملة واحدة، فلعلَّ ما نزل في الألواح كان بعضها لا كلَّها.

وهذا الخلاف يمنع من الاستدلال بالآية أو بالأثر الوارد عن ابن عباس على نزول التوراة جملة؛ إذ من المحتمل أن تكون الألواح غير التوراة.

وأمَّا الأثر الذي رواه ابن أبي حاتم عن ثابت بن الحجاج من أنَّه قال: (أنزلت التوراة جملة) فلعلهم لا يعترفون بصحته، أو لا يلتزمون بقول ثابت هذا حيث لم يذكر دليلًا على ما قال، ثم لا يخفى أنَّ الدليل الثاني والثالث خاصان بالتوراة، فعلى فرض تسليمهما لا يثبتان أنَّ غير التوراة نزل جملةً.

هذا هو ما أمكن أن نقوله في توجيه رأي من خالف الجمهور، وأنكر أنَّ الكتب السابقة نزلت جملةً، ولعلَّ ممَّا دفعهم إلى مخالفة الجمهور أنَّهم يرون أنَّ الحكمة تقتضي التدرج في التشريع والتكليف في كلِّ زمان، وفي كلِّ أمة، وهذا يقتضي أنَّ الكتب كلها نزلت على التدريج شيئًا فشيئًا لا جُملَةً

واحِدةً"[1]. وبعد نقضه ومعارضته رحمه الله لرأي السيوطي والجمهور – كما ترى– ختم المسألة بترجيح رأيهم، وتقوية استدلالهم، ونقد استدراكه عليهم قائلًا:" والخلاصة: أنَّ استدلال الجمهور على نزول الكتب السابقة جملة بأنَّ الكفار لمَّا عابوا على القرآن نزوله منجَّما لم يردَّ الله عليهم بأنَّ التنجيم هو سنته تعالى في إنزال الكتب السابقة، فدلَّ ذلك على نزولها جملة استدلال قوي، وإن كان لا ينفي الاحتمال السابق الذي يقدَح في هذا الاستدلال في الجملة، وأنَّ نصوص القرآن متبادرة في نزول التوراة جملة، وأنَّ كون الألواح غير التوراة لم يذكره إلا القليل، وأنَّ التوراة –وهي على ما يظهر أعظم الكتب السابقة شأنًا وأكثرها أحكامًا– إذ نزلت جملة كان نزول غيرها كذلك أولي وأحرى؛ فتكون النتيجة من كلِّ ما تقدم أنَّ الرجحان في هذه المسألة لقول الجمهور".أهـ[2].

(١) البيان في مباحث من علوم القرآن ص ٩٠، ٩١.

(٢) السابق ص ٩٢.

الدراسة والبيان:

استدل السيوطي على نزول الكتب السماوية السابقة جملةً واحدةً بثلاثة أدلة، وقام شيخنا غزلان بنقضها ومعارضتها، أمَّا النقض فتجلَّى في إبطال حجيتها لتصير مجرد دعوى لا مستند لها ولا معتمد، وأمَّا المعارضة فتحققت بإقامة الدليل الداعم للقول المقابل لرأي السيوطي والجمهور ومَنْ تبعهم المتمثِّل في أنَّ الحكمة تقتضي التدرج في التشريع والتكليف في كلِّ زمان، وفي كلِّ أمة.

وإن تعجب فعجبٌ حال شيخنا غزلان رحمه الله فبعد نقده وردّه أدلة الجمهور التي ذكرها السيوطي، وبعد توفيقه وتسديده في نقضها ومعارضتها غاية التوفيق ونهاية التسديد مال في نهاية الأمر إلى تأييد رأي السيوطي والجمهور وترجيحه لقوة أدلتهم، وتضعيف نقده وردِّه عليهم، وسبحان الله العظيم!

وأرى – والعلم عند الله تعالى– أنَّ رأي فضلاء عصر السيوطي القاضي بنزول الكتب السماوية السابقة منجمةً كالقرآن هو الأولى بالقبول والأحق بالتسليم، وذلك للأدلة التالية:

أولًا: لا تصريح في آية الفرقان بل ولا تلميح بشأن نزول الكتب السماوية السابقة لا منجمةً ولا جملةً واحدةً، بل غاية ما دلت عليه الآية الشريفة أنَّ الكفار سألوا: لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة؟ فردَّ القرآن عليهم ببيان حكمة نزوله منجمًا، فلا إشارة البتة في الآية إلى حال الكتب السابقة(١).

(١) يُنظر: إمتاع الجنان بعلوم القرآن لشيخنا أ.د/ عبد البديع أبو هاشم رحمه الله ص٥٣.

وعلى فرض التسليم بتعرض الآية الكريمة لشأن نزول الكتب السابقة، فذلك يستلزم علم كفار قريشٍ بالكتب السابقة، وهذا مردودٌ؛ إذ المشهور جهلهم بكتب الله وكيفية نزولها على أنبيائه ورسله(١).

فإن قيل: تعجبهم من نزول القرآن مفرَّقًا دليلٌ على علمهم بكيفية نزول الكتب السابقة. والجواب: لا؛ لاحتمال أن يكون تعجبهم ناتجًا عن إلفهم أن تُلقى القصيدة جملةً واحدةً(٢)، والاحتمال يُسقط الاستدلال.

أضف إلى ما سبق أنَّ احتمال كون القائلين في الآية اليهود يردُّه سياق الآيات؛ فإنَّها نصٌّ في مشركي قريش إذ لفظها ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ **[الفرقان: ٣٢]**، ويردُّه كذلك أنَّ الآية مكيةٌ، والزعم بأنَّ مشركي قريشٍ سألوا اليهود عن نزول الكتب السابقة كما في السؤال عن الرّوح ساقطٌ عن الاعتبار لأنَّه لا دليل عليه هنا بخلاف سؤالهم عن الرُّوح فقد ثبت بالدليل(٣).

ثانيًا: الآيات التي ذكرت الألواح جملةً لا تصلح للاستدلال على المقصود، ولا يعتدُّ بها في الاحتجاج على المراد؛ إذ ليس فيها تصريحٌ بنزول التوراة جملةً واحدةً؛ لاحتمال أنَّ ما نزل في الألواح كان بعض التوراة لا كلَّها، كما

---

(١) أفدتُه من: فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق خان ٣٠٥/٩، وانفراد القرآن الكريم بالتنزيل المنجم دراسة وتحقيق للباحثيْن: عايش علي محمد لبابنة، ويحيى ضاحي شطناوي ص١٤.

(٢) أفدتُه من: مباحث في علوم القرآن للأستاذ صبحي الصالح ص ٥١.

(٣) يُنظر: انفراد القرآن الكريم بالتنزيل المنجم دراسة وتحقيق للباحثين: عايش علي محمد لبابنة، ويحيى ضاحي شطناوي ص١٤، ١٥ بتصرفٍ.

أفاده الشيخ غزلان، أضف إلى ذلك اختلاف العلماء في المراد من الألواح أصلًا، هل كانت هذه الألواح مشتملةً على التوراة، أو أنَّ هذه الألواح غير التوراة وقد أُعطيها موسى عليه السلام قبل التوراة؟ فهذان احتمالان، والاحتمال كما هو معلوم يُبطل الاستدلال [1].

وما قاله شيخنا غزلان بعدُ من ترجيح أنَّ التوراة والألواح شيءٌ واحدٌ؛ لأنَّ كونهما متغايران لم يذكره إلا القليل مردودٌ بأنَّ العبرة في الترجيح بين الأقوال بقوة الدليل وصحته لا بكثرة القائل وقلته[2]، ولا دليل يصحُّ هنا حتى نرجَّح به أحد الاحتمالين على الآخر، ولله درُّ الحافظ ابن كثير حيث ذكر الخلاف عند تفسير قوله تعالى: ﴿**وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾ [الأعراف: ١٤٥]، ولم يرجِّح أحد القولين على الآخر، بل عقَّب عليهما بقوله: "فالله أعلم".أهـ[3]، وقد أحسن رحمه الله صنعًا بتوقفه عن الترجيح، واقتصاره على حكاية الخلاف؛ لأنَّ هذا الأمر قد أبهمه القرآن، ولم يرد فيه عن المعصوم ﷺ بيان، فالله أعلم بما كان.

---

(١) ولهذا قال الدكتور فضل حسن عباس رحمه الله بعد ذكره اختلاف العلماء في المراد بالألواح: "فالحقُّ أنَّ الآية الكريمة ليست دليلًا على المدَّعى". أهـ إتقان البرهان ص ١٥٧. ويعني رحمه الله بالآية قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

(٢) يُنظر: منة المنان في علوم القرآن ١٣٩/٢.

(٣) يُنظر: تفسير القرآن العظيم ٤٧٤/٣.

ثالثًا: الآثار التي ذكرت نزول التوراة جملةً – على فرض التسليم بصحتها– لا تزيد على كونها مجرد أقوالٍ موقوفةٍ على قائليها لم تُذكر في كتب الصِّحاح، فالاستدلال بها في أمرٍ كهذا مخاطرة ومجازفة(١).

زد على ذلك أنَّها لم تصرح بالنزول جملةً إلا في الأثر الذي رواه ابن أبي حاتم عن ثابت بن الحجاج من أنَّه قال: (جَاءَتْهُمُ التَّوْرَاةُ جُمْلَةٌ وَاحِدَةٌ فَكَبُرَ عَلَيْهِمْ) (٢)، وقول ثابت بن الحجاج في هذا مرسلٌ أو منقطعٌ لا يُعتمد عليه ولا يُستند إليه في أمثال هذه الأمور(٣).

رابعًا: الآيات والآثار التي ذكرها السيوطي تأييدًا لقول الجمهور خاصةٌ بالتوراة فقط، فعلى فرض قبولها والتسليم بها لا تصلح دليلًا لغير التوراة.

وما قاله شيخنا غزلان بعدُ من أنَّ التوراة هي أعظم الكتب السابقة شأنًا وأكثرها أحكامًا؛ فنزولها جملةً دليلٌ على نزول غيرها من الكتب كذلك من باب أولى لا يُسلَّم له؛ إذ إنَّ قياس الأَوْلى في المسائل التي لا طريق إلى معرفتها بالنص والنقل لا يصحُّ، ولو صحَّ لجاز القول: بأنَّ القرآن الكريم هو أعظم الكتب – على الإطلاق– قدرًا، وأغزرها علمًا، وأوسعها أحكامًا، وأعجزها نظامًا، فما الذي يمنع من نزول جميع الكتب – عدا التوراة على فرض التسليم بدليلها– مفرقةً كالقرآن؟!

أو بعبارة أخرى: لِمَ تُقاس الكتب الأخرى على التوراة ولا تُقاس على القرآن؟!

---

(١) يُنظر: إمتاع الجنان بعلوم القرآن ص٥٣.

(٢) يُنظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١٦١٠/٥ رقم (٨٥١٤).

(٣) يُنظر: منة المنان في علوم القرآن ١٤٠/٢.

خامسًا: الحكمة الإلهية من نزول القرآن منجمًا تنسحب – بلا شكٍّ– على نزول الكتب السماوية السابقة؛ إذ شأن نزول الكتب السماوية هو هو شأن نزول القرآن، وحاجة النبيين إلى تنجيم الوحي وتجدده على حسب مقتضيات الأحوال هي نفس حاجة نبينا ﷺ لذلك إن لم تكن أشد؛ فإذا كان من حكم نزول القرآن منجمًا: التدرج في التشريع والتكليف، فإنَّ الحكمة الإلهية تقتضي التدرُّج في التشريع والتكليف في كلِّ زمان ومكان، ولأي عباد في كلِّ أمةٍ.

وإذا كان من حكم نزول القرآن منجمًا: تثبيت فؤاد خاتم النبيين وتقوية قلب سيد المرسلين ﷺ؛ فإنَّ الأنبياء جميعًا عليهم الصَّلاة والسَّلام – كذلك– في حاجةٍ إلى تثبيت أفئدتهم، وتقوية قلوبهم حتى يبلغوا رسالات ربهم.

وإذا كان من حكم نزول القرآن منجمًا: مسايرة الحوادث ومجاراة الوقائع عند حدوثها ووقوعها، والإجابة على أسئلة السائلين عند توجيهها، وبيان الناسخ والمنسوخ ونحو ذلك؛ فإنَّ الكتب السماوية السابقة اشتملت – كذلك– على الناسخ والمنسوخ، والإجابة على أسئلة السائلين، وعلى نصوص نزلت إثر حوادث حدثت ووقائع وقعت مثل: ما قصه الله علينا في القرآن من شأن قصة البقرة، وقصة أصحاب السبت، وغير ذلك(١).

وبهذه الأدلة يتبين سقوط دعوى نزول الكتب السماوية السابقة جملةً واحدةً؛ لعدم قيام الدليل الصالح للاحتجاج به على ذلك، ويترجح نزولها منجمةً كالقرآن سواء بسواء لاقتضاء الحكمة الإلهية ذلك، وممَّنْ اختار هذا القول

---

(١) يُنظر: منة المنان في علوم القرآن ١٤١/٢، ١٤٢، وإمتاع الجنان بعلوم القرآن ص ٥٤، ٥٥ بتصرفٍ كبيرٍ.

وانتصر له من أهل العلم: الإمام البقاعي رحمه الله الذي بيَّن أنَّ القول بنزول " التوراة جملةً كذبةٌ من اليهود".أهـ(١)، وأبو الطِّيب محمد صديق خان القِنَّوجي طيَّب الله ثراه الذي ردَّ القول بنزول الكتب السماوية السابقة جملةً واحدةً بقوله:" وهذا زعمٌ باطلٌ، ودعوى داحضةٌ، فإنَّ هذه الكتب نزلت مفرقة كما نزل القرآن". أهـ(٢)، والعلامة القاسمي عليه الرحمة في محاسن التأويل حيث صرَّح أنَّ القول بنزول الكتب السماوية السابقة دفعةً واحدةً " لا أصل له، وليس عليه أثارةٌ من علمٍ، ولا يُصحِّحه عقلٌ".أهـ(٣)، ومنهم كذلك الأستاذ أحمد مصطفى المراغي، والشيخ ابن عاشور في تفسيره، والدكتور فضل حسن عباس، وشيخنا العلامة الدكتور إبراهيم خليفة، والدكتور عبد البديع أبو هاشم، والدكتور محمد بكر إسماعيل عليهم جميعًا سحائب الرحمة، وشآبيب المغفرة(٤).

فإن قيل: ما سرُّ التعبير إذن في حقِّ القرآن بـ(نزَّل) وفي حقِّ الكتب السماوية السابقة بـ(أنزل) في قوله تعالى: ﴿ **نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ**﴾ **[آل عمران: ٣]**، وقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى**

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤٥٤/٥، ٣٨٠/١٣.

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن ٣٠٥/٩.

(٣) محاسن التأويل ٧/ ٤٢٧.

(٤) يُنظر: تفسير المراغي ١٢/١٩، والتحرير والتنوير ١٤٧/٣، وإتقان البرهان ص ١٥٦ – ١٥٨، ومنة المنان في علوم القرآن ١٣٧/٢ – ١٤٢، وإمتاع الجنان بعلوم القرآن ص٥٣ – ٥٥، ودراسات في علوم القرآن ص ٣٣، ٣٤.

رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]؟

ألا يمكن الاستدلال بأنَّ (نزَّل) يدل على التنجيم والتكثير، و(أنزل) يدل على النزول جملةً واحدةً؟ والجواب: لا؛ وذلك للأسباب التالية:

أولًا: هما بمعنى واحد، فـ(نزَّل) مرادفٌ لـ(أنزل) ومساوٍ له في المعنى وعدد الحروف والتعدية، فـ(نزَّل) متعدٍ بالتضعيف، و(أنزل) متعدٍ بالهمزة، فلا فضل لأحدهما على الآخر في الدلالة(١).

ثانيًا: التضعيف الذي يُراد به التكثير هو الذي يدل على كثرة وقوع الفعل، لا الذي يجعل الفعل اللازم متعديًا، وذلك يكون غالبًا في الأفعال المتعدية قبل التضعيف، مثل: جرحت زيدًا، وفتحت الباب، وقطعت، وذبحت، و(نزَّل) لازمٌ قبل التضعيف، فلا يدل تضعيفه على التكثير، وإنَّما يدل على التعدية(٢).

ثالثًا: المفارقة بين الفعلين في المعنى مردودةٌ بقوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**﴾ **[الفرقان: ٣٢]**، حيث جُمع بين تضعيف (نزَّل)، وقوله تعالى: ﴿**جُمْلَةً وَاحِدَةً**﴾، فلو كان (نزَّل) يدل على التكثير والتنجيم لاحتاجت الآية الكريمة إلى تأويلٍ؛ لئلا يقع التناقض(٣)، ولا يخفى أنَّ التفسير بما لا يحتاج إلى تأويلٍ وتقديرٍ أولى مما يحتاج إلى تأويلٍ وتقديرٍ.

***

(١) يُنظر: البحر المحيط ٩٨/٤، والتحرير والتنوير ١٤٦/٣.

(٢) يُنظر: البحر المحيط ١٦٧/١ بتصرفٍ كبير.

(٣) السابق بتصرفٍ.

المبحث الثالث

استدراك الشيخ غزلان على نقد السيوطي القول بأنَّ البسملة أول ما نزل من القرآن على الإطلاق

رأي الإمام السيوطي رحمه الله:

حكى السيوطي رحمه الله خمسة أقوالٍ في تحديد أول ما نزل من القرآن على الإطلاق[١] مُرجِّحًا القول القاضي بأنَّه صدر سورة العلق؛ لحديث أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها المروي في الصحيحين[٢]، ثم عقَّب على الأقوال الأخرى بما ينفي عنها الأولية المطلقة، ومنها القول بأنَّ البسملة هي أول ما نزل حيث نقده بقوله: "وعندي أنَّ هذا لا يُعدَّ قولًا برأسه، فإنَّه من ضرورة نزول السورة نزول البسملة معها".أهـ[٣].

استدراك الشيخ غزلان طيَّب الله ثراه:

وتعقَّبه شيخنا غزلان مستدركًا عليه نقده هذا مع تسليمه للسيوطي تمام التسليم بضعف هذا القول قائلًا: " ويندفع كلام السيوطي بأنَّ الأحاديث التي رُوي فيها نزول صدر سورة العلق لم يرد فيها ذُكر ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾". أهـ[٤].

---

(١) القول الأول: صدر سورة العلق. والثاني: سورة المدثر. والثالث: سورة الفاتحة. والرابع: البسملة. الخامس: سورةٌ من المفصل فيها ذكر الجنة والنار.

(٢) سبق تخريجه ص ١٦.

(٣) الإتقان في علوم القرآن (النوع السابع: معرفة أول ما نزل) ٩٥/١.

(٤) البيان في مباحث من علوم القرآن ص ١٠٤.

الدراسة والبيان:

ما حكاه السيوطي من القول بأنَّ البسملة هي أول ما نزل من القرآن على الإطلاق مردودٌ عند أهل الفقه بالقرآن لسببين: **أولهما:** ضعفه سندًا، فقد أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما(١).

وبشر بن عمارة ضعيفٌ متروكٌ(٢)، والضحاك لم يلق ابن عباس(٣)؛ لذا قال ابن كثير عليه الرحمة بعد أن ذكره:" وهذا الأثر غريبٌ، وإنَّما ذكرناه ليُعرف؛ فإنَّ في إسناده ضعفًا وانقطاعًا، والله أعلم".أهـ(٤).

وأخرجه الواحدي في أسباب النزول عن عكرمة والحسن مرسلًا(٥)، وأنت خبيرٌ بأنَّ المرسل لا يقوى على معارضة المرفوع؛ فهذا الأثر المرسل على

---

(١) يُنظر: جامع البيان ١/ ١١٣ رقم (١٣٧)، وتفسير القرآن العظيم ٢٦/١ رقم (٦).

(٢) تنظر ترجمته: ميزان الاعتدال للذهبي ٣٢١/١ رقم الترجمة (١٢٠٩)، وتهذيب التهذيب لابن حجر ١/ ٤٥٥ رقم الترجمة (٨٣٦).

(٣) تنظر ترجمته: ميزان الاعتدال للذهبي ٣٢٥/٢، ٣٢٦ رقم الترجمة (٣٩٤٢)، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٤٥٣/٤، ٤٥٤ رقم الترجمة (٧٩٤).

(٤) تفسير القرآن العظيم ١١٣/١.

(٥) يُنظر: أسباب النزول ص ١١. والمشهور أنَّ الحديث المرسل: هو ما رفعه التابعي، بأن يقول: "قال رسول الله ﷺ" سواء كان التابعي كبيرًا أو صغيرًا، ومذهب جمهور المحدثين وكثير من الفقهاء والأصوليين أنَّ المرسل

فرض صحته لا يُناهض حديث أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها المرفوع قطعًا إلى النبي ﷺ.

ثانيهما: أنَّ البسملة كانت تنزل بالضرورة في صدر كلِّ سورةٍ باستثناء سورة التوبة، فهي نازلةٌ مع ما نزل من صدر سورة اقرأ، وبالتالي لا يُعدُّ القول بأوليتها قولًا مستقلًا، وهذا ما قرره السيوطي في إتقانه، وتبعه الشيخ الزرقاني في مناهله(١).

ولم يرتض شيخنا غزلان عليه الرحمة والرضوان هذا السبب الثاني الذي اعتمده السيوطي في نقد هذا القول؛ لأنَّ الروايات الصحيحة التي حكت بدء نزول الوحي الشريف لم تُذكر فيها البسملة قطُّ مع صدر سورة العلق، وهو كما قال رحمه الله، وإن رمت دليلًا على ذلك فدونك حديث أمِّ المؤمنين المروي في الصحيحين في قصة بدء الوحي، فلم يُذكر فيه نزول البسملة في فاتحة سورة العلق.

فإن قيل: ذكر القاضي ابن عطية عليه الرحمة في محرَّره أنَّ في بعض طرق حديث بدء الوحي ذكر البسملة، ألا يُعدُّ ذلك مستندًا لما قاله

=

ضعيفٌ لا يُحتجُّ به. ودليلهم على ذلك: أنَّ المحذوف مجهول الحال؛ لأنَّه يحتمل أن يكون غير صحابي، وإذا كان كذلك فإنَّ الرواة حدَّثوا عن الثقات وغير الثقات، فإذا روى أحدهم حديثًا وأرسله لعله أخذه عن غير ثقة. وإن اتفق أن يكون المُرسِل لا يروي إلا عن ثقة، فالتوثيق مع الإبهام غير كافٍ. يُنظر: منهج النقد في علوم الحديث للشيخ نور الدين عتر ص ٣٧٠، ٣٧١.

(١) يُنظر: مناهل العرفان في علوم القرآن ٩٦/١.

السيوطي من لزوم نزول البسملة مع صدر كلِّ سورة؟ الجواب: لا؛ لأنَّ ما ذكره ابن عطية رحمه الله لم يثبت ولم يصحّ، ولو صحَّ وثبت لعيَّن لنا تلك الطريق وخرَّجها، ولم يكتفِ بذكرها بلا إسنادٍ عطفًا على نسبة هذا القول إلى ابن عباسٍ رضي الله عنهما بصيغة التمريض (رُوي)[1]، وبالبحث والتتبع لم أقف على تلك الطريق.

فإن قيل: كتابة البسملة في صدر سورة العلق يُعضِّد جواب السيوطي؟

الجواب: لا؛ لاحتمال نزولها بعد نزول تمام السورة، وهذا ما استظهره الدكتور محمد أبو شهبة بعد اعتراضه – أيضًا– على جواب السيوطي أنَّ البسملة كانت تنزل بالضرورة في صدر كلِّ سورةٍ باستثناء سورة التوبة[2].

ولعلَّ ممَّا يستدل به على أنَّ البسملة ما كانت تنزل إلا بعد نزول تمام السورة: ما أخرجه أبو داود في سننه عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَعْرِفُ فصل السورة، حَتَّى تَنْزِلَ ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾»، وفي كتاب المراسيل عن سعيد بن جبير قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا

---

(١) حيث قال رحمه الله:" ورُوي عن ابن عباس: أنَّ أول ما نزل به جبريل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. وفي بعض طرق حديث خديجة وحملها رسول الله ﷺ إلى ورقة، أن جبريل قال للنبي عليهما السَّلام: قل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فقالها: فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ ... الحديث". أهـ المحرر الوجيز ٦١/١.

(٢) حيث قال رحمه الله: "أقول: وهذا الجواب غير مسلم؛ فالأحاديث الصحيحة في بدء الوحي كحديث عائشة وغيره لم تذكر قطُّ نزول البسملة مع صدرها، والظَّاهر أنَّها نزلت بعدُ عند نزول تمام السورة". أهـ. المدخل لدراسة القرآن ص ١١٦.

يَعْرِفُ خَتْمَ السُّورَةِ، حَتَّى تَنْزِلَ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾». قال أبو داود: "قد أُسند هذا الحديث، وهذا أصحُّ".أهـ[1]، وما أخرجه البزار في مسنده، والحاكم في مستدركه، والبيهقي في سننه عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: «كَانَ الْمُسْلِمُونَ لَا يَعْلَمُونَ انْقِضَاءَ السُّورَةِ، حَتَّى تَنْزِلَ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فَإِذَا نَزَلَتْ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ عَلِمُوا أَنَّ السُّورَةَ قَدِ انْقَضَتْ»[2].

ولا يُعترض على ذلك بما رواه مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ» فَقَرَأَ: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ. فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ. إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٢] [3]؛ لنزول السورة بتمامها كما هو ظاهرٌ، والله أعلم.

***

(١) سنن أبي داود- كتاب الصلاة- باب الجهر بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ٩١/٢ رقم (٧٨٨)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط:" حديث صحيح، وهذا إسناد رجاله ثقات"، والمراسيل ٩٠/١ رقم (٣٦).

(٢) أخرجه البزار في مسنده ٢١٨/١١ رقم (٤٩٧٨)، والحاكم في المستدرك ٣٥٥/١، ٣٥٦ رقم (٨٤٥، ٨٤٦)، وقال:" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن الكبرى ٦٣/٢ رقم (٢٣٧٨)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠٩/٢ رقم (٢٦٣٤)، وقال: "رواه البزار بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح".

(٣) صحيح مسلم – كتاب الصلاة- بَابُ حُجَّةِ مَنْ قَالَ: الْبَسْمَلَةُ آيَةٌ مِنْ أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ سِوَى بَرَاءَةٌ ٣٠٠/١ رقم الحديث (٤٠٠).

المبحث الرابع

نقد الدكتور غزلان فهم السيوطي جواب ابن عباس رضي الله عنهما سؤال مروان بن الحكم عن قوله تعالى: ﴿**لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [آل عمران: ١٨٨] أنَّه من العام الذي أُريد به الخصوص.

توطئة:

أشكل على مروان بن الحكم قوله تعالى: ﴿**لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾؛ فأرسل بوَّابه إلى عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما يقول له: لَئِنْ كَانَ كُلُّ امْرِئٍ فَرِحَ بِمَا أُوتِيَ، وَأَحَبَّ أَنْ يُحْمَدَ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ مُعَذَّبًا، لَنُعَذَّبَنَّ أَجْمَعُونَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَمَا لَكُمْ وَلِهَذِهِ «إِنَّمَا دَعَا النَّبِيُّ ﷺ يَهُودَ فَسَأَلَهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَكَتَمُوهُ إِيَّاهُ، وَأَخْبَرُوهُ بِغَيْرِهِ، فَأَرَوْهُ أَنْ قَدِ اسْتَحْمَدُوا إِلَيْهِ، بِمَا أَخْبَرُوهُ عَنْهُ فِيمَا سَأَلَهُمْ، وَفَرِحُوا بِمَا أُوتُوا مِنْ كِتْمَانِهِمْ»، ثُمَّ قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ:﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**﴾ [آل عمران: ١٨٧] كذلك حتى قوله: ﴿ **يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا**﴾ (١).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب التفسير – باب ﴿**لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا**﴾ ٤٠/٦ رقم (٤٥٦٨)، ومسلم في صحيحه – كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ٢١٤٣/٤ رقم (٢٧٧٨).

رأي الإمام السيوطي رحمه الله:

وقد فهم الحافظ السيوطي أنَّ ابن عباسٍ رضي الله عنهما قد أزال الإشكال الذي وقع فيه مروان ببيانه أنَّ سبب النزول قد خصَّص عموم الموصول في الآية الشريفة؛ فجعل هذا الموصول من العام الذي أُريد به الخصوص، ومثَّل له بتفسير النبي ﷺ الظلم بالشرك(١).

قال الإمام السيوطي رحمه الله:" فإن قلتَ: فهذا ابن عباس لم يعتبر عموم: ﴿**لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ**﴾ الآية، بل قصرها على ما أُنزلت فيه من قصة أهل الكتاب. قلتُ: أُجيب عن ذلك بأنَّه لا يخفى عليه أنَّ اللفظ أعمٌّ من السبب، لكنَّه بيَّن أنَّ المراد باللفظ خاصٌ، ونظيره تفسير النبي ﷺ الظلم في قوله تعالى: ﴿**وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**﴾ [الأنعام: ٨٢] بالشرك من قوله: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان: ١٣] مع فهم الصحابة العموم في كلِّ ظلمٍ، وقد ورد عن ابن عباس ما يدل على اعتبار العموم".أهـ(٢).

استدراك الشيخ غزلان طيَّب الله ثراه:

---

(١) يعني في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ [الأنعام: ٨٢]: أخرج البخاري في صحيحه – كتاب التفسير – باب ﴿**لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان: ١٣] ٦/١٤٤ رقم (٤٧٧٦) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**﴾ [الأنعام: ٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَلْبِسْ إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِذَاكَ، أَلاَ تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان: ١٣]».

(٢) الإتقان في علوم القرآن (النوع التاسع: معرفة سبب النزول) ١/١١١.

واستدرك عليه الشيخ غزلان مبيّنًا أنَّ " كلام ابن عباس وإن كان ظاهرًا في تخصيص الآية بمن نزلت فيهم من اليهود إلا أنَّ هذا الظاهر مؤولٌ بأنَّها نزلت في هؤلاء اليهود بسبب ارتكابهم الكذب الشنيع، وفرحهم به، فلا تتناول مَنْ يفرح بما أتى من خير، وإنَّما تتناول مَنْ يفرح بما أتى من الشر كما وقع من اليهود؛ وبذلك تكون الآية عامةً في كلِّ مَنْ فَعَل فِعْل اليهود من ارتكاب الشر وإيهام فعل الخير والفرح بذلك، والقرينة التي صرفت كلام ابن عباس عن ظاهره هي ما ثبت عنه أنَّه يأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"(١).

الدراسة والبيان:

جعل السيوطي عليه الرحمة الموصول في الآية الكريمة من العام الذي أُريد به خاصٌ استنادًا واعتمادًا على جواب ابن عباسٍ رضي الله عنهما لسؤال مروان، وسبقه إلى ذلك الإمام الزركشي طيَّب الله ثراه(٢)، ولم يرتض الدكتور غزلان رحمه الله هذا الفهم منهما؛ لأنَّ اللفظ هنا عامٌّ، فيجب بقاؤه على عمومه، ولا يجوز صرفه عن معناه الذي وُضع له من العموم إلا بقرينةٍ مانعةٍ من بقائه على أصل وضعه، وروروده على سببٍ خاصٍّ لا يصلح قرينةً على تخصيصه؛ لأنَّ السبب الخاص لا يقوى على إخراج غير السبب من متناول اللفظ العام، إذ من الجائز جدًّا أن يكون وقوع الأمر الخاص سببًا في بيان حكمه وحكم ما هو من نوعه، والدليل على ذلك ورود الحكم

---

(١) يُنظر: البيان في مباحث من علوم القرآن ص ١٢٦ بتصرفٍ واختصارٍ.

(٢) يُنظر: البرهان في علوم القرآن (النوع الأول: معرفة أسباب النزول) ٢٨/١، ٢٩.

بلفظٍ عامٍّ يشمله ويشمل غيره ممَّنْ هو من نوعه[1]؛ ولهذا أكَّد على أنَّ الآية من العام الذي أُريد به العموم، فهي وإن نزلت في اليهود إلا أنَّها تشملهم ومَنْ فعل فعلهم وصنع صنيعهم من ارتكاب الكذب والفرح به، فالآية تتناول كلَّ من يفرح بما أتى من الشَّر، ولا تشمل مَنْ فرح بما أتى من الخير كما

---

(١) سبب النزول لا يُخصِّص لثلاثة أسبابٍ:

الأول: لفظ الشارع وحده هو الحجة والدليل دون ما احتفَّ به من سؤالٍ أو سببٍ؛ فلا وجه إذن لتخصيص اللفظ بالسبب.

الثاني: إجماع الصحابة ومن بعدهم من الأئمة المجتهدين في جميع الأعصار على التمسك بعموم آياتٍ نزلت على أسبابٍ خاصةٍ، دون أن يلجؤوا لجأوا إلى قياسٍ أو استدلالٍ بغير لفظ الآيات.

الثالث: لو لم تكن العبرة بعموم اللفظ للزم استعمال العام في الخاص، وفي هذا صرف له عما وضع له بغير قرينة مانعة من العموم، واللازم باطل فبطل ما أدى إليه، وثبت نقيضه وهو أنَّ العبرة بعموم اللفظ. وخصوص السبب لا يصلح أن يكون قرينةً صارفةً عن استعمال العام في معناه الموضوع له وهو أفراده التي منها صورة السبب وغيره؛ لأنَّه لا يستلزم إخراج غير السبب من متناول اللفظ، إذ لا يمتنع أن يكون حصول الأمر الخاص سببًا في بيان حكمه وحكم ما هو من نوعه، بل العدول عن تعليق الحكم بالخاص إلى تعليقه بما يشمله ويشمل غيره دليلٌ على إرادة العموم. وبهذا ثبت أنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. يُنظر: الإتقان في علوم القرآن (النوع التاسع: معرفة سبب النزول) ١/١١٠، ١١١، ومناهل العرفان (المبحث الرابع: أسباب النزول) ١/١٢٧ – ١٢٩، والمدخل لدراسة القرآن ص ١٥٨ – ١٦٠، والبيان في مباحث من علوم القرآن ص١٤٣ بتصرفٍ.

فهم مروان بن الحكم، وبذلك تكون الآية عامةً في كلِّ مَنْ فعل الشَّر مع إيهام فعل الخير وفَرِح به، هذا ما ارتآه الدكتور غزلان لينسجم مع ما ورد عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما من الأخذ بعموم اللفظ، ووافقه في ذلك مردِّدًا كلامه بنصه كلٌّ من: الدكتور فضل حسن عباس رحمه الله في كتابه (إتقان البرهان)، وشيخنا الدكتور محمد سالم أبو عاصي في كتابه (أسباب النزول) (١).

ولا يخفى أنَّ صنيع شيخنا غزلان وتأويله جواب ابن عباس بما قرره آنفًا لا يجعل الآية من العام الذي أُريد به العموم كما ظنَّ الشيخ؛ وذلك لأنَّه خصَّص الآية بمَنْ يفرح بما أتى من الشَّر لا من الخير على الرَّغم من أنَّ مفعول ﴿**أَتَوْا**﴾ في الآية محذوفٌ، وحذفه للدلالة على العموم كما لا يخفى، فمَنْ أين أتى الشيخ رحمه الله بتخصيص الآية بمَنْ فعل الشَّر وأوهم الخير وفرح بذلك؟!

ومن ثَمَّ فإنَّني لا أرى فرقًا بين فهم الزركشي والسيوطي جواب ابن عباس رضي الله عنهما، وبين فهم شيخنا غزلان وتأويله، فكلاهما جعل سبب النزول مخصصًا لعموم الموصول في الآية، غاية ما هنالك أنَّ الزركشي وتبعه السيوطي جعلا الموصول خاصًا باليهود فقط من أول الأمر ولا يشمل غيرهم، وشيخنا غزلان أدخل مع اليهود مَنْ فعل فعلهم، فأتى الشَّر مع إيهام الخير وفرح بذلك، وكلا الجعْلين تُصادمه القاعدة المقرَّرة المعروفة «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»، فالإشكال ما زال قائمًا، والخلاف بينهما إذن لفظي لا أكثر.

---

(١) يُنظر: إتقان البرهان ص ٢٦٩، وأسباب النزول ص ١١٤.

فإن قيل: ما التفسير الصحيح إذن للآية الشريفة؟ وهل الموصول فيها من العام الذي أُريد به خاصٌ كما ذهب إليه الزركشي والسيوطي ومن تبعهما أو من العام الذي أُريد به العموم؟

قلتُ: الآية من العام الذي أُريد به العموم، والدليل على ذلك ما تضمنته من ألفاظٍ تدل دلالةً واضحةً على العموم من التعبير بالاسم الموصول، وحذف مفعول ﴿**أَتَوْا**﴾؛ فهي تشمل كلَّ مَنْ فرح بما أتى من عملٍ خيرًا كان أو شرًّا، حسنًا كان أو قبيحًا، حقًّا كان أو باطلًا، وأحبَّ المدح والثناء على ما ليس فيه، فكلُّ مَنْ كانت هذه صفته فهو داخلٌ في هذه الآية ولابُدَّ، ومُتَوَعدٌ بالعذاب الأليم، وبذلك ينتظم في معناها فريقان:

الفريق الأول: مَنْ فرح بما أتى من الشَّرِّ، وأحبَّ المدح والثناء عليه، ومن أمثلة هذا الفريق:

أولًا: أهل الكتاب عامةً من اليهود والنصارى؛ لما رواه ابن جرير الطبري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «هُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ أُنْزِلَ عَلَيْهِمُ الْكِتَابُ، فَحَكَمُوا بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَحَرَّفُوا الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَفَرِحُوا بِذَلِكَ، وَأَحَبُّوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا، فَرِحُوا بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ، وَيَصُومُونَ، وَيُصَلُّونَ، وَيُطِيعُونَ اللَّهَ؛ فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ ثناؤُهُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿**لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا**﴾ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَكَفَرُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ ﴿**وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا**﴾ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ، فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿ **فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾»[1].

(١) جامع البيان ٤٦٨/٧ رقم (٨٣٤٤).

ثانيًا: اليهود الذين حرَّفوا التوراة وكتموا ما فيها من صفة سيدنا رسول الله ﷺ، وفرحوا بذلك، وأحبوا أن يُوصفوا بالعلم والفضل، ويُمدحوا بأنَّهم أهل كتاب على ما قاله ابن عباسٍ رضي الله عنهما في جوابه لسؤال مروان بن الحكم في الرواية التي هي محل الدراسة في هذا المطلب.

ثالثًا: المنافقون الذين فرحوا بإظهار الإيمان وقلوبهم مطمئنة بالكفر، وفرحوا بإظهار محبة المؤمنين وهم في غاية العداوة لهم، واستحمدوا إلى المسلمين بالإيمان وهم بمعزلٍ عنه، ونحو ذلك من قبائحهم وأفعالهم الخبيثة التي منها ما أخرجه البخاري ومسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رِجَالًا مِنَ المُنَافِقِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الغَزْوِ تَخَلَّفُوا عَنْهُ، وَفَرِحُوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ، وَحَلَفُوا وَأَحَبُّوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا»، فَنَزَلَتْ: ﴿**لَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا**﴾ الآيَةَ[1].

الفريق الثاني: مَنْ فرح بما أتى من الحسنات والخير فرح البطر والغرور الذي يتبعه الخيلاء والفخر والعجب[2]، وأحبَّ المدح والثناء بما ليس فيه من الديانة والزهد والفضل، ومن أمثلة هذا الفريق:

---

(١) صحيح البخاري – كتاب التفسير – باب ﴿**لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا**﴾ ٤٠/٦ رقم (٤٥٦٧)، وصحيح مسلم – كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ٢١٤٣/٤ رقم (٢٧٧٧).

(٢) وذلك الفرح مذمومٌ محرمٌ قال تعالى: ﴿**لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [الحديد: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿**لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ**﴾ [القصص: ٧٦]، وكان هذا النوع من الفرح محرمًا

=

مذمومًا؛ لأنَّه يتبعه لا محالة – تبع المعلول للعلة، والمسبب للسبب– ترك الشكر على النعمة وعدم استعمالها فيما يرضي الله وينفع عباده، قال الله في أقوام هذا شأنهم:﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]، وقال في شأن قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨]. أمَّا الفرح بالعمل والسُّرور بالنِّعمة مع إقرار القلب واعتراف العبد بأنَّها محض فضلٍ من الله تعالى تفضَّل به على عباده من غير حولٍ منهم ولا قوةٍ فإنَّه يؤدي لا محالة إلى شكر المنعم والإحسان في العمل، ولا يُحدث بطرًا ولا غرورًا، ولا عجبًا ولا كبرًا، وإن رمت دليلًا على ذلك فاقرأ قول الله تعالى:﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠]، وهذا النوع من الفرح المحمود إليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، غير أنَّ هناك فريقًا من المؤمنين الخُلَّص الأتقياء الأبرار يُبادرون إلى جليل الطَّاعات، ويُسابقون إلى فعل الخيرات وقول الطَّيبات ويخافون ألا يتقبَّل منهم، وهؤلاء أوسع أُفقًا، وأكبر نفسًا، وأكثر فقهًا، وفيهم ورد المدح الإلهي بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]؛ فهؤلاء قال الله فيهم بعد تلك الآية = = المتقدمة: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١]، فقارن بين هؤلاء الخُلَّص الأخيار الذين يخافون على حسناتهم ألا تُقبل، ويخشون على سيئاتهم ألا تُغفر، وبين أولئك الذين يفرحون بما أتوا من عملٍ، وما آتوا من صدقةٍ فرح العجب والخيلاء المنبئ عن السُّمعة والرِّياء وحبِّ المدح والثناء؛ فالأبرار مُداومون على أعمالهم

أولًا: المراؤون بأعمالهم الذين يفرحون بما أتوا من طاعةٍ، وما آتوا من صدقةٍ فرح العجب والخيلاء المنبئ عن السُّمعة والرِّياء وحبِّ المدح والثناء بسداد السيرة، واستقامة السريرة، وسلامة النية، وحُسن الطويَّة، وفيهم ورد الذمُّ النبوي والوعيد المحمدي بقوله ﷺ: «... وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى كَاذِبَةً لِيَتَكَثَّرَ بِهَا لَمْ يَزِدْهُ اللهُ إِلَّا قِلَّةً، وَمَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ فَاجِرَةٍ»(١)، وقوله ﷺ: «المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ»(٢).

=

مُلازمون لها من غير انقطاعٍ لأنَّهم يُعاملون ربَّهم، والمغرورون الفخورون يكسلون عن العمل ولا يُواظبون عليه إلا مع المحمدة الباطلة والثناء الكاذب!! يُنظر: تفسير القرآن الحكيم للسيد رشيد رضا ٢٨٨/٤ وما بعدها بتصرفٍ كبيرٍ وتقديم وتأخيرٍ.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الإيمان - باب غِلَظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ، وَأَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي النَّارِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ١٠٤/١ رقم (١١٠) من حديث ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رضي الله عنه.

ومعنى «مَنْ حَلف عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ» أي أُلزم بها وحُبس عليها، وكانت لازمةً لصاحبها من جهة الحكم، وفي رواية «مَنْ حَلف عَلَى يمينٍ مَصْبُورةٍ كاذِبًا» وقيل لها مصبورة وإن كان صاحبها في الحقيقة هو المصبور؛ لأنَّه إنَّما صبر من أجلها: أي حبُس، فوُصفت بالصبر، وأُضيفت إليه مجازًا. يُنظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٨/٣ مادة (صبر).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب النكاح - باب المُتَشَبِّعِ بِمَا لَمْ يَنَلْ، وَمَا يُنْهَى مِنَ افْتِخَارِ الضَّرَّةِ ٣٥/٧ رقم (٥٢١٩)، ومسلم في صحيحه-

ثانيًا: أصحاب الشرفِ والولايةِ الذين يُحبون أن يُحمدوا على أفعالِهِم ويُثْنَى عليهم بها، ويَطلبُون من الناسِ ذلك، ويَتَسببُون في أذى مَنْ لا يُجيبُهم(١).

فإن قيل: أوليس حبُّ الثناء على العمل الصالح من غرائز الفطرة؟

والجواب: بلى؛ " ولهذا قيَّد الله الوعيد في الآية الكريمة على حبِّ الحمد بقوله: ﴿**بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا**﴾، فهذا القيد يدل على أنَّ حبَّ الثناء على العمل الصالح غير مذمومٍ ولا مُتَوَعدٌ عليه، على أنَّ المدح بالحقِّ لا يخلو في بعض الأحوال من ضررٍ في الممدوح كالغرور والعجب، وفتور الهمة عن الثبات والمواظبة على العمل الذي حُمد عليه، وهذا هو سبب النهي عن

=

كتاب اللباس والزينة – باب النَّهْيِ عَنِ التَّزْوِيرِ فِي اللِّبَاسِ وَغَيْرِهِ وَالتَّشَبُّعِ بِمَا لَمْ يُعْطَ ١٦٨١/٣ رقم (٢١٢٩)، (٢١٣٠) من حديث عائشة وأسماء رضي الله عنهما.

وقوله: (المتشبع) أي: المتزين بما ليس عنده يتكثر بذلك ويتزين بالباطل؛ كالمرأة تكون عند الرجل ولها ضرة فتدَّعي من الحظوة عند زوجها أكثر ممَّا عنده تريد بذلك غيظ ضرتها، وكذلك هذا في الرجال. وقوله: (كلابس ثوبي زور) أي كمَنْ يلبس ثوبين مستعارين أو مودوعين عنده يتظاهر أنَّهما ملكه وليسا كذلك، وهو كنايةٌ عمَّنْ يلبس لباس أهل الزهد والتقوى والصلاح، ويُظهر من التخشع والتقشف ليوهم أنَّه منهم، وهو ليس كذلك. وقيل في معناه: مَنْ يلبس ثوب ويصل بكميه كمين آخرين ليوهم أنَّهما ثوبان رياء ومفاخرة. يُنظر: فتح الباري ٩/ ٣١٧، ٣١٨ بتصرفٍ.

(١) أفدتُه من روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) ٢٧٥/١.

المدح في حديث الصَّحيحيْن عن أبي بكرة رضي الله عنه[1]؛ فقد قلَّ مَنْ يسلم من الاغترار بالمدح، ولاسيما إذا كان إطراءً، وقلَّما يكون الإطراء حقًّا، وقلَّما يلتزم المطرون الحق؛ ولذلك قال النبي ﷺ:«إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمِ التُّرَابَ»[2]".

وممَّنْ رجَّح من المفسرين واختار عموم الآية وشمولها لكلِّ مَنْ يأتي بخيرٍ أو شرٍ مع حبِّ المدح على ذلك: شيخ الإسلام أبو السعود طيَّب الله ثراه، وذلك حيث يقول بعد ذكره مَنْ نزلت فيهم الآية من اليهود والمنافقين: "فالموصولُ عبارةٌ عن طائفة معهودةٍ من المذكورين وغيرِهم؛ فإنَّ أكثرَ المنافقين كانوا من اليهود، ولعلَّ الأولى إجراءُ الموصولِ على عمومه شاملاً لكلِّ مَنْ يأتي بشيءٍ من الحسنات فيفرحُ به فرحَ إعجابٍ، ويوَدُّ أن يمدحَه

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه – كتاب الأدب – باب ما يُكره من التمادح ١٨/٨ رقم (٦٠٦١)، ومسلم في صحيحه – كتاب الزهد والرقائق – باب النهي عن المدح ٢٢٩٦/٤ رقم (٣٠٠٠)، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَجُلًا ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَجُلٌ خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَيْحَكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ – يَقُولُهُ مِرَارًا – إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا لاَ مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يُرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ، وَحَسِيبُهُ اللَّهُ، وَلاَ يُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا».

(٢) الحديث: أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الزهد والرقائق – باب النهي عن المدح ٢٢٩٧/٤ رقم (٣٠٠٢)، ويُنظر: تفسير القرآن الحكيم ٢٩٠، ٢٩١ بتصرفٍ.

الناسُ بما هو عارٍ منه من الفضائل منتظمًا للمعهودين انتظامًا أوليًّا". أهـ[1].

ومنهم – كذلك– المحقق الألوسي، والسيد رشيد رضا عليهما الرحمة[2].

وممَّنْ جوَّز عمومها دون ترجيح: الشيخ أبو حيان، والخطيب الشربيني رحمهما الله حيث قالا في المراد بالموصول في الآية:" وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ شَامِلًا لِكُلِّ مَنْ يَأْتِي بِحَسَنَةٍ فَرِحَ بِهَا فَرَحَ إِعْجَابٍ، وَيُحِبُّ أَنْ يَحْمَدَهُ النَّاسُ وَيُثْنُوا عَلَيْهِ بِالدِّيَانَةِ وَالزُّهْدِ، وَبِمَا لَيْسَ فِيهِ".أهـ[3].

فإن قيل: ألا يمكن أن يكون سباق الآية الشريفة قرينةً اعتمد عليها ابن عباسٍ رضي الله عنهما في تخصيصه الآية باليهود؛ فإنَّ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ الآية [آل عمران: ١٨٧] في اليهود فهم الذين كتموا نبوة سيدنا محمدٍ ﷺ مع علمهم بصدقه؟

يُقال لك: هذا القول الكريم ليس خاصًا باليهود فقط؛ فإنَّ الاسم الموصول يدلُّ على العموم، والمراد بالكتاب جنس الكتب التي أنزلها الله تعالى على عباده، فيدخل النصارى أصحاب الإنجيل، والمسلمون أهل القرآن أحسن

(١) إرشاد العقل السليم ١٢٦/٢.

(٢) يُنظر: روح المعاني ٣٦١/٢، وتفسير القرآن الحكيم ٢٣٦/٤.

(٣) البحر المحيط ٤٦٦/٣، والسراج المنير ٢٧٣/١.

الكتب وأشرفها تحت عموم الآية، وبهذا فسَّرها الحسن وقتادة قالا: هي في كلِّ مَنْ أُوتي علم شيءٍ من الكتاب(١).

وممَّا يؤيِّد ذلك ويُقرِّره ما أخرجه الحاكم في المستدرك عَنْ أَبِي رَافِعٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: "لَوْلَا مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ مَا حَدَّثْتُكُمْ بِشَيْءٍ، ثُمَّ تَلَا ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ**﴾ [آل عمران: ١٨٧]" (٢)؛ ولهذا قال العلامة الزمخشري رحمه الله:

---

(١) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٠٤/٤. وأخرج ابن جرير الطبري عن قتادة أنَّه قال في هذه الآية: "هَذَا مِيثَاقٌ أَخَذَه اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ، فَمَنْ عَلِمَ شَيْئًا فَلْيُعَلِّمْهُ، وَإِيَّاكُمْ وَكِتْمَانَ الْعِلْمِ، فَإِنَّ كِتْمَانَ الْعِلْمِ هَلَكَةٌ، وَلَا يَتَكَلَّفَنَّ رَجُلٌ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ، فَيَخْرُجُ مِنْ دِينِ اللَّهِ، فَيَكُونُ مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ، كَانَ يُقَالُ: مَثَلُ عِلْمٍ لَا يُقَالُ بِهِ كَمَثَلِ كَنْزٍ لَا يُنْفَقُ مِنْهُ، وَمَثَلُ حِكْمَةٍ لَا تَخْرُجُ كَمَثَلِ صَنَمٍ قَائِمٍ لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ، وَكَانَ يُقَالُ: طُوبَى لِعَالِمٍ نَاطِقٍ، وَطُوبَى لِمُسْتَمِعٍ وَاعٍ. هَذَا رَجُلٌ عَلِمَ عِلْمًا فَعَلَّمَهُ وَبَذَلَهُ وَدَعَا إِلَيْهِ، وَرَجُلٌ سَمِعَ خَيْرًا فَحَفِظَهُ وَوَعَاهُ، وَانْتَفَعَ بِهِ".أهـ جامع البيان ٤٦١/٧ رقم (٨٣٢٤). "وحُكِيَ أَنَّ الْحَجَّاجَ أَرْسَلَ إِلَى الْحَسَنِ البَصْرِي، وَقَالَ: مَا الَّذِي بَلَغَنِي عَنْكَ؟ فَقَالَ: مَا كُلُّ الَّذِي بَلَغَكَ عَنِّي قُلْتُهُ: وَلَا كُلُّ مَا قُلْتُهُ بَلَغَكَ، قَالَ: أَنْتَ الَّذِي قُلْتَ: إِنَّ النِّفَاقَ كَانَ مَقْمُوعًا فَأَصْبَحَ قَدْ تَعَمَّمَ وَتَقَلَّدَ سَيْفًا، فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَمَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى هَذَا وَنَحْنُ نَكْرَهُهُ، قَالَ: لِأَنَّ اللَّهَ أَخَذَ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ". أهـ مفاتيح الغيب ٤٥٦/٩.

(٢) المستدرك على الصحيحين – كتاب العلم ١٩٠/١ رقم (٣٦٦)، وقال الحاكم:" هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولا أعلم له علة ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

"وَكَفَى بِهِ دَلِيلًا عَلَى أَنَّه مَأْخُوذٌ عَلَى العُلَمَاءِ أَن يُبيّنُوا الحَقَّ للنّاسِ وَمَا عَلِمُوه وَأَن لا يَكْتُمُوا مِنْه شَيْئًا".أهـ(١)، ولهذا أيضًا لم يستبعد الإمام الرازي طيَّب الله ثراه دخول المسلمين في عموم الموصول في الآية، وذلك حيث يقول:" اعْلَمْ أَنَّ ظَاهِرَ هَذِهِ الْآيَةِ وَإِنْ كَانَ مُخْتَصًّا بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَإِنَّهُ لا يبعد أيضًا دخول المسلمين فيه، لأنهم أَهْلُ الْقُرْآنِ وَهُوَ أَشْرَفُ الْكُتُبِ".أهـ(٢).

فإن قيل: إذا كان الأمر كذلك، والآية على عمومها في كلِّ مَنْ فعل شرًّا أو خيرًا وأحبَّ المدح على ذلك؛ فما الذي أشكل على مروان حينئذٍ؟

والجواب: فهم مروان أنَّ ارتياح النفس وانبساطها لما يأتيه صاحبها من العمل الذي يرى أنَّه محمود هو المراد من الآية الشريفة، فقرَّب له ابن عباسٍ رضي الله عنهما معنى الآية العام بالمثال؛ فإنَّ إظهار الحسن مع قصد التوصل به إلى غرضٍ فاسدٍ، ومحبة الحمد على ذلك والفرح به من أكثر خصال اليهود، فأصدق مثالٍ على المعنى الذي تفيده الآية: اليهود؛ فجواب ابن عباسٍ رضي الله عنهما إذن من باب تفسير اللفظ العام بفردٍ من أفراده لا من باب تخصيص العام بسبب النزول؛ لأنني لا أُسلم أنَّ مراد ابن عباسٍ رضي الله عنهما من جوابه بيان سبب نزول الآية الشريفة، وذلك لأنَّ عبارته رضي الله عنهما كما هو ظاهرٌ في الرواية غير صريحة في سبب النزول، فلم يقل" سبب نزول هذه الآية كذا وكذا"، ولم يقل:"فعل اليهود كذا وكذا فنزلت الآية أو فأنزل الله الآية"، وإنَّما غاية ما ورد: "ثم قرأ قوله تعالى كذا"، وأنت خبيرٌ بأنَّ عبارته هذه تصلح لأنْ يُراد بها ذكر سبب النزول،

(١) الكشاف ١/٤٥٠.

(٢) مفاتيح الغيب ٩/٤٥٦.

وأنْ يُراد بها التفسير والبيان؛ فهي محتملة لهما[1]، ويتوقف تحديد أحدهما على دليلٍ يوضِّحه ويُعيِّنه، وهذا الدليل هنا هو ما ثبت عنه رضي الله عنه من أنَّه يأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وما رواه عنه ابن جرير الطبري – كما سبق بيانه– من تفسيره الموصول في الآية الكريمة بأهل الكتاب عمومًا لا اليهود خاصةً، والله أعلم.

***

(١) يُنظر: البرهان في علوم القرآن (النوع الأول: معرفة أسباب النزول) ٣١/١، ٣٢، والإتقان في علوم القرآن (النوع التاسع: معرفة سبب النزول) ١١٥/١، ١١٦.

المبحث الخامس

نقده رحمه الله قصر السيوطي قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ [الليل: ١٧] على أبي بكر الصديق رضي الله عنه دون غيره

رأي الإمام السيوطي رحمه الله:

ذهب السيوطي إلى أنَّ قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ [الليل: ١٧] خاصٌ بالصديق رضي الله عنه دون غيره؛ لأنَّ الآية نزلت فيه، وغلَّط من ظنَّ من العلماء أنَّها عامةٌ في الصديق وكلِّ من يعمل عمله جريًا على القاعدة المقررة «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب» بأنَّ الآية الشريفة ليس فيها صيغة عموم، فالألف واللام في «الأتقى» للعهد، وهو صيغة تفضيل تفيد التمييز وقطع المشاركة، والألف واللام إنَّما تفيد العموم إذا كانت موصولة أو معرفة في جمع أو مفرد بشرط ألا يكون هناك عهد؛ فتعيَّن بذلك القطع بالخصوص والقصر على مَنْ نزلت فيه رضي الله عنه(١).

استدراك الشيخ غزلان طيَّب الله ثراه:

وتعقَّبه الشيخ غزلان بأنَّه ليس في الآية الكريمة قرينةٌ تقضي بأنَّ «أل» في «الأتقى» للعهد لا للجنس حتى يكون المراد به أبا بكر رضي الله عنه وحده، وكونها نزلت فيه لا يصلح دليلًا أو قرينةً على العهدية؛ إذ لو كان ذلك كذلك للزم أن تكون جميع الآيات التي نزلت على أسباب خاصة وعُبِّر فيها عمَّنْ نزلت فيه بلفظ مقترن بأل كما هنا، أو باسم موصول كما في

(١) يُنظر: الإتقان في علوم القرآن (النوع التاسع: معرفة سبب النزول) ١/١١٢، ١١٣ بتصرفٍ.

آيات اللِّعان والظِّهار خاصة، لا عامة، ولا قائل بهذا – حتى السيوطي نفسه– سوى القائلين بخصوص السبب، وقد جانبهم الصواب(١)؛ وعلى ذلك تكون «أل» في لفظ «الأتقى» جنسية؛ إذ لا قرينة هنا تصرفها إلى العهد، ويكون لفظ «الأتقى» عامًا يشمل الصديق رضي الله عنه وكلَّ مَنْ يقتدي به فيعمل بعمله، وهذا هو ما قاله غير واحد من المفسرين في لفظي «الأتقى» و«الأشقى» في هذه السورة الكريمة، سواء جعل كلٌّ منهما أفعل تفضيل؛ كصنيع العلامة الألوسي في بعض الاحتمالات التي ذكرها بجعل المراد من «الأشقى» الكافر، والمراد بـ«الأتقى» المبالغ في اتقاء الكفر والمعاصي(٢)، أو جُعلا بمعنى الشقي والتقي؛ كصنيع الجلال المحلي(٣).

الدراسة والبيان:

فصَّل السيوطي أدلته على اختصاص قوله تعالى: ﴿**وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى**﴾ [الليل: ١٧] بأبي بكر الصديق رضي الله عنه دون غيره في كتابه «**الحاوي للفتاوي**»، ويمكن تلخيصها في النقاط التالية:

أولًا: إجماع المفسرين على أنَّ المراد بـ ﴿**الْأَتْقَى**﴾ في الآية الكريمة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقد سمَّى من هؤلاء المفسرين ونقل عنهم: ابن

---

(١) يُنظر: الأدلة على أنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص ص ٣٣ من هذا البحث.

(٢) يُنظر: روح المعاني ٣٦٩/١٥.

(٣) يُنظر: تفسير الجلالين ص ٨١١، والبيان في مباحث من علوم القرآن ص ١٥٠ – ١٥٢ بتصرفٍ كبيرٍ واختصارٍ.

جرير الطبري، والبغوي، والرازي، والخازن، والأصبهاني[1] عليهم جميعًا سحائب الرحمة والرضوان.

ثانيًا: الآية لا عموم فيها حتى تنطبق عليها قاعدة «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»، بل هي نصٌّ في الخصوص من وجهين:

أحدهما: أنَّ المقرر في علم الأصول أنَّ العموم إنَّما يستفاد من (أل) الموصولة والتعريفية، وليست (أل) هنا موصولة بدليل اتصالها بـ (أفعل التفضيل)، والموصولة لا توصل بـ (أفعل التفضيل) بإجماع النحاة، وأمَّا أل التعريفية فتفيد العموم إذا دخلت على جمع، أو على مفرد بشرط ألا يكون هناك عهدٌ، وقد دخلت هنا على مفرد مع وجود العهد، وهو نزولها في الصديق رضي الله عنه.

الثاني: أنَّ الأتقى أفعل تفضيل، وأفعل التفضيل موضوعٌ للخصوص عقلًا ونقلًا; إذ هو لبيان تفرد الموصوف بالصفة، وأنَّه لا مساوي له فيها.

ثالثًا: القول بأنَّ أفعل التفضيل هنا للعموم يحتاج إلى تأويل الأتقى بالتقي ليخرج عن التفضيل، وهذا مجازٌ، والمجاز خلاف الأصل، ولا يُصار إليه إلا بدليل، ولا دليل يساعده، بل الدليل يُعارضه، وهو الأحاديث الواردة في سبب النزول، وإجماع المفسرين.

رابعًا: القول بأنَّ العموم في الآية مأخوذٌ من لفظ الذي في قوله تعالى: ﴿**الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى**﴾ [الليل: ٢١] جهلٌ بالعربية؛ فإنَّ (الذي) وصف

(١) يُنظر: جامع البيان ٤٧٩/٢٤، ومعالم التنزيل ٤٤٨/٨، ومفاتيح الغيب ١٨٧/٣١، ولباب التأويل في معاني التنزيل ٤٣/٤.

للأتقى، والأتقى خاصٌ، فيجب أن تكون صفته كذلك، لِمَا تقرَّر أنَّ الوصف لا يكون أعمَّ من الموصوف، بل مساويًا له أو أخصَّ منه.

خامسًا: في قوله تعالى: ﴿**وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى**﴾ [الليل: ١٩] إلى قوله: ﴿**وَلَسَوْفَ يَرْضَى**﴾ ما يشير إلى التنصيص على التخصيص(١).

ووافق السيوطيَّ وتبعه في قصر الآية الشريفة على أبي بكر رضي الله عنه دون غيره: الشيخ محمد علي سلامة في منهج الفرقان، والشيخ الزرقاني في مناهل العرفان، والدكتور القيعي في الأصلان، والدكتور نور الدين عتر في علوم القرآن رحمهم الله جميعًا(٢).

قلتُ: هذه الأدلة التي فصَّلها السيوطي لا تسلم من نظرٍ ولا تخلو من نقدٍ؛ وبيان ذلك فيما يلي:

أولًا: دعوى إجماع المفسرين على أنَّ المراد في الآية أبو بكر رضي الله عنه وحده دون غيره غير مسلمةٍ؛ إذ صرَّح كثيرٌ من المفسرين بأنَّ الآية عامةٌ يدخل فيها الصديق رضي الله عنه دخولًا أوليًّا وتتناول غيره ممَّنْ يعمل عمله، ومن هؤلاء: القاضي ابن عطية، والحافظ ابن كثير، والإمام برهان الدين البقاعي، والعلامة الشهاب الخفاجي، والعلامة القاسمي، والشيخ ابن عاشور عليهم جميعًا رحمات الله وبركاته(٣).

---

(١) يُنظر: الحاوي للفتاوي ٣٩٣/١ – ٣٩٦ بتصرفٍ كبيرٍ واختصارٍ.

(٢) يُنظر: منهج الفرقان ص ٦٠، ومناهل العرفان ١٣٤/١، والأصلان ص ١٦، وعلوم القرآن الكريم ص ٥٢.

(٣) يُنظر: المحرر الوجيز ٤٩٢/٥، وتفسير القرآن العظيم ٤٢٢/٨، ونظم الدرر ٩٤/٢٢، وحاشية الشهاب المسماة (عناية القاضي وكفاية الراضي

ثانيًا: دعوى أنَّ الأتقى لا عموم فيه؛ لأنَّه أفعل تفضيل مفرد، واقترانه بـ (أل) لا يكسبه العموم لوجود قرينة العهد، وهي سبب النزول، لا يُسلَّم له أيضًا؛ لأنَّ كون نزول الآية في أبي بكر رضي الله عنه لا يصلح دليلًا ولا قرينةً يُعتد بها على العهد؛ إذ لو كان ذلك كذلك لكانت كل الآيات التي نزلت على أسبابٍ خاصةٍ واقترن لفظها بأل أو الموصول خاصةً لا عامةً، وهو ما لم يقل به أحدٌ سوى مَنْ اعتبر خصوص السبب، وإذا ثبت أنَّ سبب النزول لا يصلح قرينةً على العهد ثبت عموم (أل) في الأتقى، وهو المطلوب، وهذا ما قرَّره شيخنا غزلان رحمه الله كما سبق البيان.

ثالثًا: دعوى كون أفعل التفضيل هنا للعموم يحتاج إلى تأويل الأتقى بالتقي لا يُسلَّم له كذلك؛ لاحتمال بقائه على بابه للمبالغة، وبهذا فسَّره شيخ

=

على تفسير البيضاوي) ٣٦٨/٨، ومحاسن التأويل ٤٨٧/٩، والتحرير والتنوير ٣٩١/٣٠.

وأمَّا ما ذكره بعض المفسرين من نزول الآية الكريمة في أبي الدحداح رضي الله عنه فقد أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان ٤٥٩/٢٩ –٤٦١، والبغوي في معالم التنزيل ٢٦٣/٥ كلاهما عن عطاء، وهو مردودٌ؛ لسببين:

أولهما: ضعف إسناده جدًّا؛ إذ في إسنادهما: إسحاق بن نجيح الملطي كذَّبوه. يُنظر: تقريب التهذيب ص ١٠٣، فضلًا عن كونه مرسلًا.

ثانيهما: أنَّ السورة مكية، وقصة أبي الدحداح كانت بالمدينة، فإن كانت القصة صحيحة، تكون هذِه السورة قد نزلت بمكة، وظهر حكمها في المدينة، وهو ما لم يقله أحدٌ، أو تكون السورة مدنية، وهذا أيضًا لم يقله أحدٌ. أفدته من لباب التأويل للإمام الخازن ٤٣٥/٤ بتصرفٍ وزيادةٍ.

المفسرين الطبري[1]، وكذا فسَّر المحقق الألوسي عليهما الرحمة الْأَشْقَى بالكافر؛ إذ إنَّه أشقى من الفاسق بدليل وصفه بقوله تعالى: ﴿**الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى**﴾ [الليل: ١٦]، وفسَّر الْأَتْقَى بالمبالغ في اتقاء الكفر والمعاصي فلا يحوم حولها[2].

وأمَّا قول السيوطي: تأويل الأتقى بالتقي مجازٌ، ولا يُصار إليه إلا بدليل، مسلَّمٌ له، وهنا أقول: إنَّ الدليل العقلي والنقلي يُساعد على هذا التأويل، أمَّا النقلي فتلك النصوص المتكاثرة على أنَّ التقي يُباعد عن النار من أمثال قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [يونس: ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا**﴾ [مريم: ٧١، ٧٢]، ﴿**وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [الزمر: ٦١]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ، فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الفَمُ وَالفَرْجُ»[3].

وأيضًا مقصود السورة الكريمة وسياقها من بيان الفرق الواضح والبون الشاسع بين عمل المؤمنين وثوابهم وعمل الكافرين وعقابهم في الدنيا والآخرة يدلُّ دلالةً واضحةً على أنَّ الوعد والوعيد في السورة عامٌّ؛ ولذا افتتحت

---

(١) يُنظر: جامع البيان ٤٧٨/٢٤.

(٢) يُنظر: روح المعاني ٣٦٩/١٥.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه – أبواب البر والصلة – باب ما جاء في حسن الخلق ٣٦٣/٤ رقم (٢٠٠٤)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ هُوَ ابْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَوْدِيُّ"، وحسنه الشيخ شاكر.

بالقسم بالليل حالة غشيانه، وبالنهار حالة تجليته لأنَّ ذلك أقوى أحوالهما، وبخلق جسد الإنسان واختلافه إلى ذكر وأنثى، ثم جواب القسم ﴿**إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى**﴾ [الليل: ٤] (١).

وأمَّا الدليل العقلي فيتمثل في بطلان لازم دعوى الخصوص في الأشقى والأتقى؛ إذ يلزم من التسليم بذلك أنَّ الشقي لا يصلى النار، والتقي لا يتجنبها، وهذا باطلٌ قطعًا، لما تقرَّر أنَّ كلَّ شقيٍّ يصلاها، وكلَّ تقيٍّ يُجنَّبُها.

ومحاولة الجواب عن ذلك بأنَّ الآية واردة في المقابلة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين، فبالغ في صفتهما المتناقضتين بذكر الأشقى، وجعله مختصًّا بالصلي، كأنَّ النار له وحده، وذكر الأتقى، وجعله مختصًّا بالنجاة، كأنَّ الجنة له وحده(٢)، لا تُسلَّم؛ لأنَّ حصر ورودها في عظيمٍ من المشركين وعظيمٍ من المؤمنين تخصيصٌ بلا مخصص، وهو لا يجوز.

---

(١) يُنظر: التحرير والتنوير ٣٠/٣٧٨، ٣٧٩ بتصرفٍ كبيرٍ، وفيه:" وابتدئ في هذه السورة بذكر الليل، ثم ذكر النهار عكس ما في سورة الشمس؛ لأنَّ هذه السورة نزلت قبل سورة الشمس بمدة وهي سادسة السور وأيامئذٍ كان الكفر مخيمًا على الناس إلا نفرًا قليلًا، وكان الإسلام قد أخذ في التجلي فناسب تلك الحالة بالإشارة إلى تمثيلها بحالة الليل حين يعقبه ظهور النهار، ويتضح هذا في جواب القسم".أهـ.

(٢) نقل هذا الجواب وتمسك به السيوطي عن الأصبهاني عند تفصيله المسألة في كتابه الحاوي للفتاوي ١/٣٩٥.

وأمَّا قوله: "بل الدليل يُعارضه" فلا معارضة؛ لأنَّ سبب النزول نصٌ في دخول الصديق دخولًا أوليًّا، والأدلة الأخرى نصٌ في دخول غيره ممن هو على صفته، وبذلك يتمُّ الجمع بين الأدلة جميعها، وهو الأولى؛ إذ إعمال الأدلة كلِّها خيرٌ من إهمال أحدها كما هو معلومٌ.

رابعًا: إذا ثبت العموم في الأتقى على نحو ما سبق بيانه، ثبت العموم في قوله تعالى: ﴿**الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى**﴾ [الليل: ٢١] على أنَّ تخصيص الوصف بهذه الصلة إيذانٌ بأنَّها سببٌ في الحكم(١)، وفائدة التصريح بها هي الاقتداء والائتساء(٢) كما لا يخفي.

خامسًا: قول السيوطي بأنَّ في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى**﴾ [الليل: ١٩] إلى قوله: ﴿**وَلَسَوْفَ يَرْضَى**﴾ إشارةً إلى التنصيص على التخصيص؛ إذ هذه صفة الصديق الأكبر رضي الله عنه، مسلَّمٌ له على أنَّ المراد بهذه الآيات الكريمات بعض أفراد من شمله عموم قوله تعالى: ﴿**الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى**﴾، وهذا – كما أفاد العلامة ابن عاشور – " شبيهٌ بذكر بعض أفراد العام، وهو لا يخصص العموم، ولكن هذه لمَّا كانت حالة غير كثيرة في أسباب إيتاء المال تعيَّن أنَّ المراد بها حالة خاصة معروفة بخلاف نحو قوله: ﴿**وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى**﴾ [البقرة:

---

(١) أفدته مما سطره قلم الطاهر بن عاشور حيث قال:" ووصف الأشقى بصلة ﴿**الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى**﴾، ووصف الأتقى بصلة ﴿**الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى**﴾ للإيذان بأنَّ للصلة تسببًا في الحكم". أهـ. التحرير والتنوير ٣٠/٣٩٠.

(٢) أمَّا فائدة التصريح بوصف الأشقى بصلة ﴿**الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى**﴾، فللتحذير والتنفير.

١٧٧]، وَقَوْلِهِ: ﴿**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**﴾ [الإنسان: ٩]".أهـ(١).

وبهذا التحقيق يتجلَّى رجحان القول بأنَّ الأتقى عامٌّ في الصِّديق رضي الله عنه وكلِّ مَنْ يعمل عمله، عملًا بقاعدة «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»؛ ومن ثمَّ أرى أنَّ الدكتور غزلان عليه الرحمة والرضوان قد وُفِّق غاية التوفيق في نقد قول السيوطي القاضي بقصر الآية على أبي بكر رضي الله عنه دون غيره ظنًّا منه أنَّه لا عموم للفظها، وسبحان من تنزه عن السهو والخطأ!

وممَّن وافق شيخنا غزلان وأيَّده مردِّدًا كلامه بنصه كلٌّ من: الدكتور فضل حسن عباس رحمه الله في كتابه (إتقان البرهان)، وشيخنا الدكتور محمد سالم أبو عاصي في كتابه (أسباب النزول) (٢).

وممَّنْ اعترض كذلك على السيوطي في هذه المسألة: الدكتور محمد بكر إسماعيل رحمه الله الذي عنون اعتراضه قائلًا:" الرَّدُّ على السيوطي في هذه المسألة"، ثم ذكر كلام السيوطي في الإتقان، ثم قال:" وفي كلام السيوطي هذا نظرٌ من وجوهٍ:

الأول: إنَّ الآية التي نزلت في معين، ولا عموم للفظها تقتصر عليه قطعًا قولٌ غير مسلَّم على إطلاقه، بل هو محمول على خلوِّ الكلام من قرينةٍ تدل

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٣٩١.

(٢) يُنظر: إتقان البرهان ص ٣٥١ – ٣٥٣، وأسباب النزول شبهات ... وردود ص ١٥٣.

على العموم، فإذا ما وُجِدَت قرينةٌ تدل على العموم فلا يكون اللفظ مقصورًا على سببه قطعًا.

الثاني: استدلاله على قوله هذا بأنَّ الآية نزلت في أبي بكر، وحكاية الإجماع على ذلك غير مسلَّم، فالآية عامة في كل من عمل عمله، كما قال كثير من المفسرين.....

والثالث: قوله: إنَّ هذه الآية ليست فيها صيغة عموم، واتهامه مَنْ قال ذلك بالوهم والغلط، عكسه هو الصحيح، وما ذكره من القواعد النحوية لا يسلَّم له في هذه الآية لدلالة القرائن على العموم، من هذه القرائن سياق الآيات من قوله تعالى: ﴿**إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى**﴾ [الليل: ٤] إلى آخر السورة؛ فإنَّ الوعد والوعيد فيها عام، وذكر الأشقى والأتقى جاء مبالغة في وصف من نزلت الآيات بسببه، وأفعل التفضيل هنا ليس على بابه كما علمت، وإلّا فإنَّ الشقي لا يصلاها، والتقي لا يتجنبها، وهذا غير مراد قطعًا، فتعيَّن أن اللفظ يفيد العموم بمفهومه".أهـ [1]. والله أعلم.

***

(١) دراسات في علوم القرآن ص ١٧٢، ١٧٣.

المبحث السادس

نقده رحمه الله قول السيوطي باشتمال العرضة الأخيرة[١] على نسخ بعض القرآن

رأي الإمام السيوطي رحمه الله:

قال السيوطي:" ولا شك أنَّ القرآن نُسخ منه في العرضة الأخيرة وغيرها، فاتفق الصحابة على أنْ كتبوا ما تحققوا أنَّه قرآنٌ مستقرٌّ في العرضة الأخيرة وتركوا ما سوى ذلك". أهـ[٢].

استدراك الشيخ غزلان طيَّب الله ثراه:

وتعقَّبه الشيخ غزلان قائلًا: " وما قاله السيوطي من أنَّ العرضة الأخيرة نُسخ فيها بعض القرآن لم يذكر له دليلًا يُؤيّده". أهـ[٣].

الدراسة والبيان:

ثبت في الصحيحين – البخاري ومسلم– أنَّ جبريل عليه السلام كان يُعارض النبي ﷺ القرآن في رمضان من كلِّ عامٍ مرةً، فلمَّا كان العام الأخير

---

(١) العرضة الأخيرة: هي العرضة الثانية من العرضتين اللتين وقعتا في رمضان في العام الأخير من حياته ﷺ. البيان في مباحث من علوم القرآن ص ٢٢٣.

(٢) الإتقان في علوم القرآن (النوع السادس عشر: في كيفية إنزاله) ١٧٧/١.

(٣) البيان في مباحث من علوم القرآن ص ٢٢٤.

عارضه مرتين[1]؛ فعلم النبي ﷺ بذلك انقضاء أجله وقرب موته وانتقاله إلى ربه، لأنَّ حصول المعارضة مرتين على خلاف العادة المستمرة، ففهم النبي ﷺ أنَّ هذا هو نهاية التثبيت له في حفظ القرآن، وأنَّه لا معارضة بعد هذا العام، وفي هذا إيماءٌ بانتهاء الوحي إليه، وإذا انتهى الوحي انتهت مهمته، وانتهاء مهمته ربما يعني انقضاء أجله بأبي هو وأمي صلوات ربي وتسليماته عليه[2].

والمراد بالمعارضة هنا أنَّ كلًا من النبي ﷺ وجبريل يعرض القرآن على الآخر بأن يقرأ أحدهما ويسمع الآخر، ثم يقرأ السامع ويسمع القارئ دون تحديدٍ للبادئ أولًا؛ إذ مثل هذا التحديد يحتاج إلى دليلٍ، ولا دليل يُعتمد عليه في ذلك.

والغرض من تلك المعارضة كلَّ عامٍ: التوكيد والتقرير لما نزل من القرآن وتثبيته في قلب النبي ﷺ. قال الإمام القسطلاني رحمه الله:" وإنَّما دارسه بالقرآن لكي يتقرر عنده ويرسخ أتمَّ رسوخٍ، فلا ينساه، وكان هذا إنجاز وعده

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب بدء الخلق – باب ذكر الملائكة ١١٣/٤ رقم (٣٢٢٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ومسلم في صحيحه – كتاب فضائل الصحابة – باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام ١٩٠٤/٤ رقم (٢٤٥٠) من حديث أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٢) أفدتُه من البيان في مباحث من علوم القرآن ص ١٧٩، ١٨٠ هامش رقم (٣) بتصرفٍ واختصارٍ.

تعالى لرسوله عليه الصَّلاة والسَّلام حيث قال له: ﴿**سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى**﴾ [الأعلى: ٦]"أهـ[١].

وذهب كثيرٌ من العلماء – منهم: البغوي[٢] وابن حجر[٣] والسيوطي وابن الجزري[٤] إلى وقوع النسخ في العرضة الأخيرة لبعض المقروء به، واستدلوا على ذلك بما يلي:

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٧٢/١.

(٢) لأنَّه قال رحمه الله: " ويقال: إنَّ زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التي عرضها رسول الله ﷺ على جبريل، وهي التي بيَّن فيها ما نُسخَ وما بقِي".أهـ. شرح السنة ٥٢٥/٤.

(٣) لأنَّه قال طيَّب الله ثراه:" ... ولكنَّ جبريل كان يعارض مع النبي ﷺ في رمضان ما أنزل الله فيحكم الله ما يشاء ويثبت ما يشاء؛ ففي هذا إشارة إلى الحكمة في التقسيط الذي أشرت إليه لتفصيل ما ذكره من المحكم والمنسوخ".أهـ. فتح الباري ٤٥/٩.

(٤) لأنَّه قال عليه الرحمة:" ولا شكَّ أنَّ القرآن نُسخ منه وغُيِّر فيه في العرضة الأخيرة فقد صحَّ النص بذلك عن غير واحدٍ من الصحابة".أهـ النشر ٣٢/١.

وأمَّا الحافظ ابن كثيرٍ عليه الرحمة فعبارته لا تدل على أنَّه يرى وقوع النسخ في العرضة الأخيرة كما ذهب البعض؛ لأنَّه قال في فضائل القرآن ص ٩٢:" والمراد من معارضته له بالقرآن كلَّ سنةٍ مقابلتُه على ما أوحاه إليه عن الله تعالى ليبقى ما بقي ويذهب ما نُسخ توكيدًا واستثباتًا وحفظًا؛ ولهذا عرضه في السنة الأخيرة من عمره ﷺ على جبريل مرتين، وعارضه به جبريل كذلك". أهـ. فهذه العبارة – كما ترى– ليست صريحة في أنَّ العرضة

أولًا: حديث ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: «أَيُّ الْقِرَاءَتَيْنِ تَعُدُّونَ أَوَّلَ؟ قَالُوا: قِرَاءَةَ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: لَا، بَلْ هِيَ الْآخِرَةُ، " كَانَ يُعْرَضُ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، عُرِضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ، فَشَهِدَهُ عَبْدُ اللهِ، فَعَلِمَ مَا نُسِخَ مِنْهُ وَمَا بُدِّلَ»[1].

ثانيًا: أنَّ المقصود من تلك المعارضة إنَّما هو تثبيت المقروء ونسخ ما سواه.

وذهب شيخنا غزلان رحمه الله إلى أنَّ العرضة الأخيرة لم يقع فيها نسخ شيءٍ من القرآن لما يلي:

أولًا: لا دليل يؤيد وقوع النسخ في العرضة الأخيرة.

ثانيًا: النسخ مرتبط بالمصالح التي تدعو إليه، والمصلحة تكون في الأوقات المختلفة، ولا يختص وقت المعارضة بمزيد احتياجٍ إلى النسخ أكثر من غيره حتى يتزايد فيه النسخ.

=

الأخيرة وقع فيها النسخ، بل المتبادر منها أنَّه يريد رحمه الله أنَّ المقصود تثبيت النبي ﷺ على ما يعرف من أمر القرآن ما بقي منه وما نسخ في أيِّ وقتٍ من الأوقات بدليل أول العبارة وآخرها؛ فإنَّ المقابلة إنَّما تكون على شيءٍ حاصلٍ لا على شيءٍ سيحصل، والتوكيد إنَّما يكون لشيءٍ تقرَّر من قبل، لا لشيءٍ سيحدث في المستقبل، فتنبَّه. يُنظر: البيان في مباحث من علوم القرآن ص ٢٢٤ هامش رقم (١).

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣٩٥/٥ رقم (٣٤٢١)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين، والنسائي في السنن الكبرى ٢٤٨/٧ رقم (٧٩٤٠)، ٣٥٣/٧ رقم (٨٢٠١)، قال ابن حجر بعد ذكره رواية النسائي:" وإسناده صحيح".أهـ. فتح الباري ٤٥/٩.

ثالثًا: الروايات المروية عن ابن عباس رضي الله عنهما التي يستدل بها القائلون بوقوع النسخ في العرضة الأخيرة لا تصلح للاحتجاج بها، والدليل على ذلك: إجماع الصحابة ومنهم ابن عباس على مصحف عثمان المخالف لقراءة ابن مسعود– كما تفيد هذه الرواية– فكيف يعتقد ابن عباس أنَّ مصحف عثمان مخالفٌ لما في العرضة الأخيرة – كما تفيد هذه الرواية– ثم يوافق عليه ويُقرُّه؟!

وعلى الفرض جدلًا أنَّ ابن عباس رفض مصحف عثمان ولم يُقرّه لمخالفته قراءة ابن مسعود الثابتة في العرضة الأخيرة؛ فإنَّ إجماع الصحابة المخالف لاعتقاده دليلٌ على خطئه، فتكون روايته هذه غير صالحة للاحتجاج بها لقيام الدليل على خطئه فيها.

رابعًا: لو وقع نسخ شيءٍ في العرضة الأخيرة وبلَّغه النبي ﷺ لأصحابه لتواتر ذلك ونُقل عن غير واحدٍ من الصحابة، ولم ينفرد به ابن مسعود وحده؛ لأنَّ ذلك مما تتوافر الدواعي على نقله، وحتى لا يعمل أحدٌ بشيءٍ قد نُسخ لا سيما وقد عاش النبي ﷺ بعد رمضان التي وقعت فيه العرضة الأخيرة خمسة أشهر وهو وقتٌ يتسع كلَّ السعة لتبليغ الصحابة ما وقع من نسخٍ في العرضة الأخيرة إن كان قد وقع فيها، وإلا كان النبي ﷺ – وحاشاه– مقصرًا في التبليغ ومتهاونًا، وهو أمرٌ محالٌ على الأنبياء والمرسلين جميعًا، فكيف بسيدهم وإمامهم صلوات ربي وتسليماته عليه؟![1].

(١) يُنظر: البيان في مباحث من علوم القرآن ص ٢٢٤ – ٢٢٦ بتصرفٍ كبيرٍ وتلخيص.

ومن خلال تلك الأدلة يتجلى إجادة الدكتور غزلان عليه الرحمة في استدراكه على السيوطي قوله بوقوع النسخ في العرضة الأخيرة.

فإن قيل: بناءً على ما تقدم من كلام الدكتور غزلان إذن لم يقع نسخٌ في العرضة الأخيرة. والجواب: لا. وإنَّما غاية ما يراه الشيخ غزلان رحمه الله أنَّه لا يوجد دليلٌ يُعتمد عليه في القول بوقوع النسخ في العرضة الأخيرة ولا عدم الوقوع، وأنَّ المروي عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما في ذلك لا يصلح الاستدلال به في وقوع النسخ، ومادام الأمر كذلك فنفوِّض علم تلك المسألة إلى الله تعالى من غير مجازفةٍ بالخوض فيها والتهجم عليها دون دليل، وقد صرَّح بذلك قائلًا:" ونحن لا ندّعى عدم وقوع النسخ في العرضة الأخيرة؛ لأنَّنا لا نملك دليلًا على هذه الدعوى، وإنَّما الذي ندعيه أنَّ ما رُوي عن ابن عباس في ذلك لا يصلح دليلًا على وقوع النسخ؛ لما قدَّمناه، فنفوض علم ذلك إلى الله تعالى".أهـ[1].

وهو كما قال رحمه الله وطيَّب ثراه لا سيما وأنَّ القول بالنسخ لا يثبت إلا بدليلٍ صحيحٍ، وهو ما لا يوجد هنا، فالعلم عند الله تعالى مع اعتقادنا بأنَّ كلًّا من جمع أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما موافقان تمام الموافقة ما ثبت في العرضة الأخيرة التي بلَّغها النبي ﷺ أصحابه جميعًا وتواترت عنه، والله أعلم.

***

(١) السابق ص ٢٢٥.

المبحث السابع

نقد الشيخ غزلان ما حكاه السيوطي عن بعض العلماء في تعريف الآية القرآنية

رأي الإمام السيوطي رحمه الله:

ذكر السيوطي نقلًا عن بعض العلماء تعريف الآية القرآنية بأنَّها" طائفةٌ من القرآن منقطعةٌ عمَّا قبلها وما بعدها". أهـ[1] ولم يتعقَّبه.

استدراك الشيخ غزلان طيَّب الله ثراه:

ردَّ الشيخ غزلان هذا التعريف؛ لكونه غير مانعٍ من دخول أفراد غير المعرَّف في المعرَّف، مُبيِّنًا أنَّه لن يسلم من هذا العيب إلا بزيادةٍ تمنع غير أفراده من الدخول فيه، ومن ثمَّ زاد رحمه الله قيدًا سلم به هذا التعريف من الاعتراض وخلا به من العيب، فعرَّف الآية بقوله: " طائفة من القرآن منقطعةٌ عمَّا قبلها وما بعدها مندرجةٌ في سورة، والكلمة الأخيرة من الآية تسمى فاصلة".أهـ[2].

(١) الإتقان في علوم القرآن (النوع التاسع عشر: في عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه) ١/٢٣٠.

(٢) البيان في مباحث من علوم القرآن ص ٢٥٤.

الدراسة والبيان:

من الشروط التي وضعها المناطقة لسلامة التعريف من الاعتراضات وخلوه من العيوب أن يكون التعريف جامعًا لأفراد المعرَّف مانعًا من دخول غيرها(١).

وبالنظر في تعريف الآية القرآنية الذي نقله السيوطي عن بعضهم نجده قد فقد شرطًا مهمًا من شروط التعريف الصحيح السالم من الاعتراض وهو: كونه غير مانعٍ؛ إذ يدخل فيه ما ليس من أفراده حيث ينطبق على السورة القرآنية أيضًا، فلا بُدَّ إذن من قيدٍ زائدٍ يجعله مانعًا من دخول السورة فيه، وهو ما زاده الدكتور غزلان بقوله: "مندرجة في سورة".

وممَّنْ وافق شيخنا غزلان في استدراكه على هذا التعريف: الدكتور محمد أبو شهبة طيَّب الله ثراه حيث قال في تعريف الآية اصطلاحًا:" جزءٌ من السورة لها مبدأ ونهاية، وآخرها يسمى فاصلة. وقيل: طائفة من القرآن منقطعةٌ عمَّا قبلها وعمَّا بعدها، وهذا التعريف غير مانع؛ لدخول السورة فيه، إلا إذا راعينا في التعريف اندراجها في السورة". أهـ(٢).

---

(١) قال صاحب السُّلَّم: **وشرط كل أن يرى مطردًا *** منعكسًا وظاهرًا لا أبعدًا.** وقوله: " مطردًا منعكسًا " أي جامعًا لأفراد المعرَّف، مانعًا من دخول غيرها، كتعريف الإنسان بالحيوان الناطق، فلو كان غير جامع، كتعريف الحيوان بالناطق، أو غير مانع، كتعريف الإنسان بالحيوان، لم يصحَّ التعريف. يُنظر: إيضاح المبهم من معاني السلم للشيخ أحمد الدمنهوري ص ٤٠، ٤١.

(٢) المدخل لدراسة القرآن ص ٣٠٩.

وإن كنتُ أرى أنَّ التعريف المرتضى للآية عند الدكتور أبي شهبة أليق بصياغة التعاريف من تعريف الدكتور غزلان ومن تعريف الْجَعْبَرِيّ[1] الذي اختاره السيوطي وقدَّمه على التعريف المتعقَّب عليه آنفًا[2]؛ وذلك لوجازته واختصاره، والله أعلم.

وممَّا ينبغي التنبيه عليه في هذا المقام أنَّ المراد بانقطاع الآية عمَّا قبلها وما بعدها: كونها مستقلةً في العدِّ، وليست جزءًا من آيةٍ قبلها أو آيةٍ بعدها[3]، أمَّا انقطاع المعنى فليس مرادًا البتة؛ لما عُلم من فنِّ المناسبات القرآنية القاضي بتناسب الآية الواحدة مع نفسها، وتناسبها مع جاراتها داخل

---

(١) هو إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل بن أبي العباس، الشيخ الإمام العلامة ذو الفنون شيخ القراء أبو محمد برهان الدين الربعي الجعبري الشافعي، ولد سنة ٦٤٠هـ بربض قلعة جعبر، ولي مشيخة الحرم ببلاد الخليل عليه السلام فأقام به بضعا وأربعين سنة، تصانيفه تقارب المائة كلها جيدة محررة منها: كتاب الإفهام، والإصابة في مصطلح الكتابة، ويواقيت المواقيت، والسبيل الأحمد إلى الخليل بن أحمد، وغيرها، وتوفي في الثالث عشر من شهر رمضان سنة ٧٣٢هـ. تُنظر ترجمته: الوافي بالوفيات للصفدي ٤٩/٦، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٢١/١، والدرر الكامنة في أعيان المائة الامنة لابن حجر ٥٥/١.

(٢) قَالَ الْجَعْبَرِيُّ رحمه الله: "حَدُّ الْآيَةِ: قُرْآنٌ مُرَكَّبٌ مِنْ جُمَلٍ وَلَوْ تَقْدِيرًا ذُو مَبْدَأٍ أَوْ مَقْطَعٍ مُنْدَرِجٍ فِي سُورَةٍ". أهـ. حسن المدد ص ١٨، ويُنظر: الإتقان في علوم القرآن (النوع التاسع عشر: في عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه) ٢٣٠/١.

(٣) يُنظر: البيان في مباحث من علوم القرآن ص ٢٥٤ بتصرفٍ.

السورة الواحدة، وتناسب سور القرآن الكريم كلِّها بما يجعل القرآن كلَّه وحدةً متناسقةً يُصدِّق بعضه بعضًا، ويبيِّن بعضه معنى بعض، ويتصل أوله بآخره، وآخره بأوله اتصالًا بديعًا، وترتبط آياته وسوره فيما بينها ارتباطًا وثيقًا، وهذا من وجوه إعجازه، والله أعلم.

***

الخاتمة

(نسأل الله – تعالى– حسنها)

وبعد فهذا ما يسَّره الله لي من جولةٍ علميَّةٍ ودراسةٍ متأنيةٍ لهذا الكتاب القيِّم المبارك: (البيان في مباحث من علوم القرآن) للأستاذ الدكتور عبد الوهاب، طوَّفت فيها مع المؤلف في استدراكاته على السيوطي، فألفيتُه طيَّب الله ثراه عالمًا أزهريًّا موسوعيًّا يتكلم في كلِّ العلوم، ويتكأ عليها في إفحام الخصوم، صاحب منهجٍ علميٍّ سديدٍ، واضح البرهان، قوي البيان، يستند إلى صحيح المنقول وصريح المعقول، يتمتع بشخصيَّةٍ علميَّةٍ تتسم بغزارة العلم، ودقة الفهم، وسعة الاطلاع برزت في اختياراته وترجيحاته، وتعقباته واستدراكاته، فكان بحقٍّ نجمًا لامعًا في سماء كلية أصول الدين بالقاهرة، بيد أنَّه غير معصومٍ.

أهمُّ النتائج التي توصلتُ إليها:

وقد توصَّلتُ من خلال معايشتي لمسائل هذا البحث إلى أهمِّ النتائج التالية:

أولًا: يُعدُّ كتاب البيان في مباحث من علوم القرآن من أهمِّ المؤلفات التي أُلفت في علوم القرآن، وأجودها في العصر الحديث، وأنَّه قد حوى بين دفتيه تحريرات وتحقيقات لمسائل علوم القرآن التي تعرض لها شيخنا غزلان مع سهولة عبارته، وسلاسة أسلوبه، واشتمل على فرائد وفوائد وقواعد ربما لا يجدها طالب العلم في غيره من كتب علوم القرآن.

ثانيًا: التزام الدكتور غزلان رحمه الله بالمنهج الذي رسمه لنفسه في مقدمة كتابه، منهج التحليل والتفصيل وإعطاء كلِّ مسألة حقها من البيان من غير تطويلٍ مُملٍّ، ولا إيجازٍ مُخلٍّ إلى حدٍّ كبيرٍ.

ثالثًا: بروز شخصيَّة شيخنا غزلان العلميَّة حيث لم يتوقف عمله عند حدَّ النقل للأقوال، بل رجَّح وصحَّح، وحرَّر ونقَّح، ونقد وضعَّف.

رابعًا: في الدراسات النقدية لكتب أئمتنا وعلمائنا حفظٌ للعلم، وحرصٌ على نقله عسلًا مصفى، وشهدًا مُحلى، ولبنًا صريحًا، وتنقيةٌ لتلك الكتب من الآراء المرجوحة والأقوال الضعيفة بالتعليق عليها بما يبين حالها؛ فالعصمة للأنبياء والمرسلين وحدهم.

خامسًا: استدراكات الدكتور غزلان على السيوطي عليهم الرحمة ذات قيمةٍ علميةٍ، وفوائد منهجيةٍ.

سادسًا: أصَّل الشيخ غزلان منهجًا علميًّا رصينًا في التعامل مع أقوال العلماء – لا سيما في مسائل علوم القرآن– وفق ضوابط علمية مطردة، وقواعد أُصولية معتبرة.

سابعًا: تميَّز الدكتور غزلان في منهجه النقدي بغزارة العلم، ودقة الفهم، وسعة الاطلاع في شتى العلوم، والجرأة والشجاعة الممزوجة بالموضوعية، والإنصاف والتواضع.

ثامنًا: اعتمد الدكتور غزلان في رحلته النقدية على قواعد علمية وضوابط منهجية من أهمِّها: التبادر أمارة الحقيقة، والأخذ بالظَّاهر ما لم يدل دليلٌ على التأويل، والمجاز لا يُصار إليه إلا إذا تعذَّرت الحقيقة، وقول الصَّحابي ممَّا لا مجال للرأي فيه إذا لم يكن معروفًا بالأخذ عن الإسرائيليات له حكم المرفوع إلى النبي ﷺ، والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال، والنقض والمعارضة، ومرسل الصَّحابي حجةٌ، والنص مقدَّمٌ على الاجتهاد، والقول المحتفُّ بعدة قرائن مقدَّمٌ على غيره، وتقديم ما اتفق على روايته الشيخان – البخاري ومسلم– على غيره، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص

السبب، وإذا كان المدَّعى أعمَّ من الدليل؛ فإنَّ الدليل لا يثبته، ومطالبة المدَّعِي بالدليل الصحيح، وشرط التعريف الحقيقي أن يكون جامعًا مانعًا.

تاسعًا: وُفِّق الدكتور غزلان غاية التوفيق، وأجاد وأصاب في جُلِّ استدراكاته على السيوطي، وجانبه الصواب في بعضها حيث بلغ عدد استدراكاته عليه سبع استدراكات، وافقتُه في خمسٍ، وخالفتُه في اثنين.

هذا مجمل ما تيسر لي تسجيله من النتائج.

بعض المقترحات:

أولًا: إعداد دراسة علميَّة موسَّعة تُبرز جهود علماء الأزهر الشريف – وخاصةً أعلام قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بالقاهرة– في الدراسات القرآنية، مع بيان مناهجهم التي سلكوها في كتبهم.

ثانيًا: الاهتمام بالمنهج النقدي عند الكاتبين في علوم القرآن لا سيما المتأخرين.

ثالثًا: الاهتمام بكتاب (البيان في مباحث من علوم القرآن)، وتدريسه وقراءته؛ نظرًا لسهولة عبارته، وسلاسة أسلوبه، وتحقيقه وتحريره لكثيرٍ من مسائل علوم القرآن التي لا غنى لمتفهمٍ لكتاب الله عنها، ممَّا يجعله حقيقًا أن يُدنى من أيدي المسلمين أجمعين.

وفي الختام أسأل الله – جل وعلا– أن يتقبل عملي هذا بقبولٍ حسنٍ، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعله ذخرًا لي عنده يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأن ينفعني به في الدنيا والآخرة، وأن يكتب الأجر والمثوبة لوالديَّ الكريمين، وأن يرحمهما رحمةً واسعةً، إنَّه سميعٌ قريبٌ مجيبٌ، وصلَّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، والحمد لله في البدء والختام.

ياسر أحمد مرسي محمد سطوحي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية أصول الدين بالقاهرة.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: كتب التفسير:

(١) إرشاد العقل السليم لشيخ الإسلام محمد بن محمد العمادي أبو السعود، المتوفى سنة ٩٨٢هـ [طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت].

(٢) البحر المحيط للإمام محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥هـ [طبعة دار الكتب العلمية – بيروت، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: د/زكريا عبد المجيد النوقي، ود/أحمد النجولي الجمل. وقرظه د/عبد الحي الفرماوي، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ/٢٠٠١ م].

(٣) التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور [طبعة الدار التونسية للنشر سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م].

(٤) تفسير الجلالين للإمامين جلال الدين محمد بن أحمد المحلي المتوفى سنة ٨٦٤هـ، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ [طبعة دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى].

(٥) تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ [ط مؤسسة الرسالة، تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة: الأولى سنة ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م]. (٦) تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين للإمام الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم المتوفى سنة

٣٢٧هـ [طبعة مكتبة نزار مصطفى الباز. مكة المكرمة، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م].

(٧) تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة٧٧٤هـ [دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ].

(٨) تفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا [مطبعة المنار . مصر، الطبعة الثانية سنة ١٣٥٠هـ].

(٩) تفسير المراغي للأستاذ/ أحمد بن مصطفى المراغي المتوفى سنة ١٣٧١هـ [مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م].

(١٠) حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي للشيخ أحمد بن محمد بن عمر الملقب بشهاب الدين الخفاجي المتوفي سنة ١٠٦٩هـ [دار صادر . بيروت].

(١١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام أبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي المتوفى سنة١٢٧٠هـ [طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت].

(١٢) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للإمام شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥هـ.

(١٣) فتحُ البيان في مقاصد القرآن للإمام أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي المتوفى سنة ١٣٠٧هـ، عُني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري [طبعة المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، سنة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م].

(١٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ، تحقيق ودراسة وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون [مكتبة العبيكان بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م].

(١٥) لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن) للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي المتوفي سنة ٧٤١ هـ [ط الحلبي].

(١٦) محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي المتوفى سنة ١٣٣٢هـ [طبعة دار إحياء الكتب العربية – عيسى الحلبي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م]

(١٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للإمام أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المتوفى سنة ٥٤٦هـ [طبعة دار الكتب العلمية –بيروت، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م].

(١٨) معالم التنزيل (تفسير البغوي) للإمام محي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي المتوفى سنة ٥١٦هـ [طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع،

تحقيق محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة خميرية، وسليمان مسلم الحرش، طبعة سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م].

(١٩) مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي المتوفى سنة٦٠٦هـ [طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م الطبعة الأولى].

ثالثاً: كتب علوم القرآن:

(١) إتقان البرهان في علوم القرآن للأستاذ الدكتور/ فضل حسن عباس [طبعة دار الفرقان – عمَّان– الأردن، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م].

(٢) الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ [طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م].

(٣) الإحسان في علوم القرآن للعلامة الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة المتوفى سنة ٢٠١٣م [الطبعة الأولى سنة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م].

(٤) إمتاع الجنان بعلوم القرآن للأستاذ الدكتور عبد البديع أبو هاشم محمد المتوفى سنة ٢٠١١م [طبعة دار أم القرى – القاهرة – مصر، الطبعة الثانية سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م].

(٥) أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي المتوفى سنة ٤٨٦هـ [طبعة دار الإصلاح، الدمام، تخريج وتدقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ/١٩٩٢م].

(٦) الأصلان في علوم القرآن للأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم القيعي [دار الطباعة المحمدية، الطبعة: الرابعة مزيدة ومنقحة ١٤١٧هـ-١٩٩٦م].

(٧) انفراد القرآن الكريم بالتنزيل المنجم دراسة وتحقيق للباحثين: عايش علي محمد لبابنة، ويحيى ضاحي شطناوي [بحث منشور في المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الثالث العدد (١) لسنة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م].

(٨) البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، المتوفى سنة ٧٩٤هـ [طبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، [الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م].

(٩) البيان في مباحث من علوم القرآن للعلامة الدكتور/ عبد الوهاب غزلان [دار البيروتي – دمشق، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، أخرجه وقرأه الدكتور/ أحمد محمد الفاضل].

(١٠) حسن المدد في فنِّ العدد للعلامة إبراهيم بن عمر الجعبري المتوفى سنة ٧٣٢هـ [طبعة مكتبة أولاد الشيخ – العمرانية الغربية – الجيزة – مصر سنة ٢٠٠٥م، قدَّم له الأستاذ الدكتور سامي هلال، وحققه جمال بن السيد رفاعي].

(١١) دراسات في علوم القرآن للأستاذ الدكتور/ محمد بكر إسماعيل المتوفى سنة ١٤٢٦هـ [ط. دار المنار- القاهرة، الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ/١٩٩٩م].

(١٢) علوم القرآن الكريم لنور الدين محمد عتر الحلبي المتوفى سنة ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م رحمه الله [مطبعة الصباح – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م].

(١٣) في رياض القرآن للشيخ محمد عبد اللطيف السبكي المتوفى سنة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م [طبعة هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، الطبعة الأولى سنة ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م].

(١٤) مباحث في علوم القرآن للأستاذ صبحي الصالح [دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة والعشرون كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٠م].

(١٥) المدخل لدراسة القرآن الكريم للدكتور محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة المتوفى: ١٤٠٣هـ [مكتبه السنة – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م].

(١٦) مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ العلامة محمد عبد العظيم الزرقاني المتوفى سنة ١٣٦٧هـ [طبعة دار الكتب العلمية . بيروت، تحقيق: أحمد شمس الدين ١٤١٦هـ،١٩٩٦م].

(١٧) منة المنان في علوم القرآن للأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة المتوفى سنة ٢٠١٣م [الطبعة الأولي ١٤١٥هـ/١٩٩٥م].

(١٨) منهج الفرقان في علوم القرآن للشيخ محمد علي سلامة [طبعة دار نهضة مصر – مدينة السادس من أكتوبر – مصر، تحقيق أ.د. محمد سيد أحمد المسير، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٢م].

(١٩) النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ [ط دار الكتب العلمية، قدم له الشيخ علي محمد الضباع، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م].

(٢٠) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي أبي الحسن إبراهيم بن عمر المتوفى سنة ٨٨٥هـ، طبع في دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.

رابعًا: كتب الحديث وعلومه:

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للإمام أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ) [المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة السابعة، ١٣٢٣هـ].

(٢) البحر الزخار للإمام أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ) [مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي].

(٣) الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري) للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي المتوفي سنة ٢٥٦هـ [دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م].

(٤) جامع الترمذي للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩هـ [دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، الطبعة الأولى بدون تاريخ].

(٥) سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥هـ [طبعة دار الكتاب العربي . بيروت، اعتني به فريق دار الأفكار الدولية، الطبعة الأولى بدون تاريخ].

(٦) صحيح مسلم للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفي سنة ٢٦١هـ [طبعة بيت الأفكار الدولية . الرياض، طبعة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م]

(٧) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ [ط دار المعرفة بيروت، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، الشيخ محب الدين الخطيب].

(٨) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للإمام نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، المتوفى سنة٨٠٧هـ [دار الفكر . بيروت، ١٤١٢ هـ/١٩٩٢م].

(٩) المستدرك على الصحيحين للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري المتوفى سنة٤٠٥هـ [دار المعرفة بيروت، تحقيق: عبد السلام علوش، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م].

(١٠) المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١هـ [طبعة مؤسسة الرسالة، شعيب الأرنؤوط وآخرون، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م].

(١١) منهج النقد في علوم الحديث لنور الدين محمد عتر الحلبي المتوفى سنة ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م رحمه الله [دار الفكر دمشق-سوريا، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ -١٩٩٧م].

خامسًا: كتب الرجال والتراجم:

(١) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب للعلامة شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ، تحقيق: إحسان عباس [دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م].

(٢) إنباه الرواة على أنباه النحاة للعلامة جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي المتوفى سنة ٦٤٦هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٢م.

(٣) تقويم جامعة الأزهر في أربع سنوات [طبعة دار المعارف سنة ١٩٧٣م].

(٤) تهذيب التهذيب للإمام الحجة الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ [طبعة دار الكتب العلمية بيروت، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ /١٩٩٤م].

(٥) غاية النهاية في طبقات القراء للإمام شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف المتوفى سنة ٨٣٣هـ [مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى سنة ١٣٥١هـ].

(٦) معجم المؤلفين لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ) [مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت].

(٧) ميزان الاعتدال في نقد الرجال للإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ [طبعة دار الكتب العلمية . بيروت، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٥م].

(٨) الوافي بالوفيات للإمام صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى [الناشر: دار إحياء التراث – بيروت سنة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م].

سادسًا: كتب أُخرى:

(١) أبجديات البحث العلمي في العلوم الشرعية للدكتور فريد الأنصاري [مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م].

(٢) إيضاح المبهم من معاني السلم للإمام أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري المتوفى سنة ١١٩٢هـ حققه وعلَّق عليه سلاف زكي [دار الدقاق – دمشق – سوريا، سنة ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م].

(٣) الحاوي للفتاوي للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ [ط دار الفكر، بيروت–لبنان، عام النشر: ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م].

(٤) الخلاصة في النحو (ألفية ابن مالك) للإمام محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبي عبد الله، جمال الدين (ت ٦٧٢هـ)، دار التعاون.

(٥) دليل المبتدئ إلى المناهج العامة في البحث العلمي للدكتورة أسماء عبد المطلب بني يونس [دار النفائس عمان- الأردن، الطبعة الأول سنة ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م].

(٦) سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد للعلامة محمد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفى سنة ٩٤٢هـ [تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م].

(٧) الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربية للإمام أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي المتوفى: ٣٩٣هـ [دار العلم للملايين – بيروت، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م].

(٨) علم آداب البحث والمناظرة للشيخ القاضي مصطفى أفندي صبري، تحقيق أحمد الشاذلي [دار الرواق الأزهري، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٧م].

(٩) الفروق اللغوية للعلامة أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم [دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر].

(١٠) كلية أصول الدين للشيخ محمد حسين النجار [الطبعة الأولى سنة ١٣٦٠هـ/١٩٤١م].

(١١) مختصر التحرير شرح الكوكب المنير للعلامة ابن النجار محمد بن أحمد بن عبد العزيز المتوفى سنة ٩٧٢ هـ، تحقيق الدكتور محمد الزحيلي،

والدكتور نزيه حماد، [طبع سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م في مكتبة العبيكان بالرياض].

(١٢) مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي للدكتور عبد الرحمن الزيندي [المعهد العالي للفكر الإسلامي، مكتبة المؤيد، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٢م].

(١٣) مقاييس اللغة للإمام أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا المتوفى سنة ٣٩٥هـ [طبعة اتحاد الكتاب العرب، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون، طبعة ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢م].

(١٤) مقدمة في النقد الأدبي للدكتور علي جواد الطاهر [المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٩م].

(١٥) منهج النقد في التفسير للدكتور إحسان الأمين [دار الهادي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٨هـ/ ٢٠١٧م].

(١٦) النقد الأدبي الحديث للدكتور محمد غنيمي هلال [دار النهضة، مصر، سنة ١٩٧٥م].

***

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــــوع
١	المقدمة
٢	خطة البحث
٣	الفصل الأول التعريف بالدكتور غزلان، وكتابه (البيان)، ومنهجه النقدي وفيه ثلاثة مباحث
٤	المبحث الأول: التعريف بالدكتور غزلان
٥	المبحث الثاني: التعريف بكتاب (البيان في مباحث من علوم القرآن)
٦	المبحث الثالث: المنهج النقدي عند الدكتور غزلان في كتابه البيان
٧	الفصل الثاني: استدراكات الدكتور غزلان على السيوطي رحمهما الله وفيه سبعة مباحث:
٨	المبحث الأول نقد الشيخ غزلان حكاية السيوطي الأقوال الثلاثة في مسألة نزول القرآن بلفظه ومعناه دون العناية بالرَّدِّ على الباطل منها

٩	**المبحث الثاني نقد الشيخ غزلان أدلة السيوطي القاضية بنزول الكتب السماوية السابقة جملةً واحدةً**
١٠	**المبحث الثالث استدراك الشيخ غزلان نقد السيوطي القول بأنَّ البسملة أول ما نزل من القرآن على الإطلاق**
١١	**المبحث الرابع** نقد الدكتور غزلان فهم السيوطي جواب ابن عباس رضي الله عنهما سؤال مروان بن الحكم عن قوله تعالى: **﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [آل عمران: ١٨٨] أنَّه من العام الذي أُريد به الخصوص.
١٢	**المبحث الخامس نقده رحمه الله قصر السيوطي قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾** [الليل: ١٧] **على أبي بكر الصديق رضي الله عنه دون غيره**
١٣	**المبحث السادس نقده رحمه الله قول السيوطي باشتمال العرضة الأخيرة على نسخ بعض القرآن**
١٤	**المبحث السابع نقد الشيخ غزلان ما حكاه السيوطي عن بعض العلماء في تعريف الآية القرآنية**
١٥	**الخاتمة (نسأل الله – تعالى- حسنها)**
١٦	**المصادر والمراجع**
١٧	**فهرس الموضوعات**

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم